۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ

وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ

وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ

وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ

لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ

فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

(تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ)

بما خصهم من بين سائر الناس بإيحائه و إرسالهم إلى الناس و دعائهم الخلق إلى الله

كقوله (وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا) الإسراء: ٥٥

–ثم فضل بعضهم على بعض بما أودع فيهم من الأوصاف الحميدة و الأفعال السديدة و النفع العام

1–(مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ)كموسى بن عمران خصه بالكلام و محمد و آدم

2–(وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ)على سائرهم درجات كنبينا ﷺالذي اجتمع فيه من الفضائل ما تفرق في غيره و جمع الله له من المناقب ما فاق به الأولين و الآخرين

(وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ)الدالات على نبوته و أنه عبد الله و رسوله وكلمته ألقاها إلى مريم و روح منه

(وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ)

بالإيمان و اليقين الذى أيده به الله و قواه على ما أمر به–قيل أيده بجبريل عليه السلاميلازمه فى أحواله

(وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ)

الموجبة للاجتماع على الإيمان-كل ذلك عن قضاء الله و قدره

(وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَ)

فكان موجب هذا الاختلاف التفرق و المعاداة و المقاتلة و مع هذا فلو شاء الله بعد هذا الاختلاف ما اقتتلوا

فــــدل ذلك على أن :-

1-مشيئـــة الله نافذة غالبة للأسباب

2-و إنما تنفع الأسباب مع عدم معارضة المشيئة فإذا وجدت اضمحل كل سبب و زال كل موجب

فلهذا قال:-(وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ)فإرادته غـــالبة و مشيئته نـــافذة

و فى هذا و نحوه دلالة على أن الله تعالى لم يزل يفعل ما اقتضته مشيئته و حكمته

-و من جملة ما يفعله ما أخبر به عن نفسه و أخبر به عنه رسوله ﷺ مـــن:-

[الاستواء و النزول و الأقوال و الأفعال التى يعبرون عنها بالأفعال الاختيارية]

فــــائدة: كما يجب على المكلف معرفته بربه:-

*فيجب عليه معرفته برسله ما يجب لهم و يمتنع عليهم و يجوز فى حقهم

2-و يؤخذ جميع ذلك مما وصفهم الله به فى آيات متعددة

(1)منها: أنهم رجال لا نساء من أهل القرى لا من أهل البوادى

(2)و أنهم مصطفون مختارون جمع الله لهم من الصفات الحميدة ما به الاصطفاء و الاختيار

(3)و أنهم سالمون من كل ما يقدح فى رسالتهم من كذب و خيانة و كتمان و عيوب مزرية

(4) و أنهم لا يقرون على خطأ فيما يتعلق بالرسالة و التكليف

(5)و أن الله تعالى خصهم بوحيه فلهذا وجب الإيمان بهم و طاعتهم

(6)و من لم يؤمن بهم فهو كافر

(7)و من قدح فى واحد منهم أو سبه فهو كافر يتحتم قتله

و دلائل هذه الجمل كثيرة من تدبر القرآن تبين له الحق ﴿٢٥٣﴾

ثم قال تعالى:-(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ)

و هذا من لطف الله بعباده أن أمرهم بتقديم شيء مما رزقهم الله من صدقة واجبة و مستحبة←

ليكون لهم ذخرا و أجرا موفرا فى يوم يحتاج فيه العاملون إلى مثقال ذرة من الخير

(لَّا بَيۡعٞ فِيهِ)و لو افتدى الإنسان نفسه بملء الأرض ذهبا ليفتدى به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منه

(وَلَا خُلَّةٞ)و لم ينفعه خليل و لا صديق لا بوجاهة

قصة التعظيم و التوحيد 254-260

(وَلَا شَفَٰعَةٞۗ)و هو اليوم الذى فيه يخسر المبطلون و يحصل الخزى على الظالمين

و هم الذين وضعوا الشيء في غير موضعه فتركوا الواجب من حق الله و حق عباده و تعدوا الحلال إلى الحرام

و أعظم أنواع الظلم الكفر بالله الذى هو:-

وضع العبادة التى يتعين أن تكون لله فيصرفها الكافر إلى مخلوق مثله

فلهذا قال تعالى:(وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ)هذا من باب الحصر أى: الذين ثبت لهم الظلم التام كقوله:-

(إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) لقمان: ١٣

*و لا ظالم أظلم ممن وافى الله يومئذ كافرا

*مسلم 810 عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-

«يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟»قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟»قَالَ: قُلْتُ:{اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: 255]

قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَ قَالَ: «وَ اللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ(ليكن العلم هنيئا لك)أَبَا الْمُنْذِرِ»

*البخارى2311 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ

(اسم فاعل من أتى وأصله آتي فحذفت الياء لالتقاء الساكنين)فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَ قُلْتُ:

وَ اللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَ عَلَيَّ عِيَالٌ وَ لِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ

قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ»

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَ عِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ:-

«أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَ سَيَعُودُ»فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺإِنَّهُ سَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ

فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺقَالَ: -

دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَ عَلَيَّ عِيَالٌ لاَ أَعُودُ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ»قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَ عِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ

قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ» فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ:-

لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَ هَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ قَالَ:-

دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا قُلْتُ: مَا هُوَ؟قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ:

(اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ) [البقرة: 255] حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ

فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَ لاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ

فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ»

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ: «مَا هِيَ» قُلْتُ:

قَالَ لِي:إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ:(اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ)البقرة: 255

وَ قَالَ لِي:لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَ لاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ -

وَ كَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ-فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَ هُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»

قَالَ: لاَقَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ»

–هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن و أفضلها و أجلها و ذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة

و الصفات الكريمة فلهذا كثرت الأحاديث فى الترغيب فى قراءتها و جعلها وردا للإنسان فى أوقاته:–

1–صباحا و مساء(رواه الترمذى و هو ضعيف)

2–و عند نــــومه

3–و أدبــــار الصلوات المكتوبا254

*فأخبر تعالى عن نفسه الكريمة بأن(ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)لا معبود بحق سواه

فهو الإله الحق الذى تتعين أن تكون جميع أنواع العبادة و الطاعة و التأله له تعالى :–

1–لكماله و كمال صفاته

2–و عظيم نعمه

3–و لكون العبد مستحقا أن يكون عبدا لربه ممتثلا أوامره مجتنبا نواهيه و كل ما سوى الله تعالى باطل

*فعبادة ما سواه باطلة لكون ما سوى الله مخلوقا ناقصا مدبرا فقيرا من جميع الوجوه فلم يستحق شيئا من أنواع العبادة

(ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ)

هذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة و تضمنا و لزوما

فـ(ٱلۡحَيُّ)من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات:– كالسمع و البصر و العلم و القدرة و نحو ذلك

(ٱلۡقَيُّومُ)هو الذى قام بنفسه و قام بغيره

و ذلك مستلزم لجميع الأفعال التى اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من:–

[الاستواء و النزول و الكلام و القول و الخلق و الرزق و الإماتة و الإحياء]

و سائر أنواع التدبير كل ذلك داخل فى قيومية البارى

و لهذا قال بعض المحققين:–

إنهما الاسم الأعظم الذى إذا دعى الله به أجاب و إذا سئل به أعطى

*و من تمام حياته و قيوميته أن(لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٌ)السِنة:–النعاس و الذى يسبق النوم(وَلَا نَوۡمٌۚ)

*مسلم-179قال النبي ﷺ (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ)

(لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ)

*كقوله (إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا) مريم

أى: هو المالك و ما سواه مملوك

–و هو الخالق الرازق المدبر و غيره مخلوق مرزوق مدبر لا يملك لنفسه و لا لغيره مثقال ذرة فى السماوات

و لا فى الأرض فلهذا قال:(مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ)

(وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ) النجم: ٢٦

(وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ)الأنبياء: ٢٨

أى: لا أحد يشفع عنده بدون إذنه فالشفاعة كلها لله تعالى

و لكنه تعالى إذا أراد أن يرحم من يشاء من عباده أذن لمن أراد أن يكرمه من عباده أن يشفع فيه لا يبتدئ الشافع قبل الإذن

*وَ هَذَا مِنْ عَظَمَتِهِ وَ جَلَالِهِ وَ كِبْرِيَائِهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ لَا يَتَجَاسَرُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ كَمَا فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ

*البخارى(....وَ لَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ:-
أَنَا لَهَا فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَ يُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لاَ تَحْضُرُنِي الآنَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ وَ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا
فَيَقُولُ:-يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَ قُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَ سَلْ تُعْطَ وَ اشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي
فَيَقُولُ:-انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَ قُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَ سَلْ تُعْطَ وَ اشْفَعْ تُشَفَّعْ
فَأَقُولُ:-يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - أَوْ خَرْدَلَةٍ- مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا
فَيَقُولُ:-يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَ قُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَ سَلْ تُعْطَ وَ اشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ:
يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ

ثم قال:–(يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ)أى:ما مضى من جميع الأمور

(وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ)

ما يستقبل منها فعلمه تعالى محيط بتفاصيل الأمور متقدمها و متأخرها بالظواهر و البواطن بالغيب و الشهادة

و العباد ليس لهم من الأمر شيء و لا من العلم مثقال ذرة إلا ما علمهم تعالى و لهذا قال:–

(وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ)
لَا يَطَّلِعُ أَحَدٌ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَى شَيْءٍ إلا بِمَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَ أَطْلَعَهُ عَلَيْهِ.
-وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ لَا يَطَّلِعُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عِلْمِ ذَاتِهِ وَ صِفَاتِهِ إِلَّا بِمَا أَطْلَعَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ:
{وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا}[طَه:110]

(وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ)

*العرش و ما روى فيه – محققا حديث أبي ذر الغفارى-رضي الله عنه- قال:

دخلت المسجد الحرام فرأيت رسول الله ﷺوحده فجلست إليه فقلت:-

يا رسول الله أيما أنزل عليك أفضل قال:"آية الكرسى و ما السموات السبع فى الكرسى إلا كحلقة ملقاة فى أرض فلاة و فضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة"

–و هذا يدل على كمال عظمته و سعة سلطانه إذا كان هذه حالة الكرسى أنه يسع السماوات و الأرض على عظمتهما و عظمة من فيهما

–و الكرسى ليس أكبر مخلوقات الله تعالى

بل هنا ما هو أعظم منه و هو :–

العرش و ما لا يعلمه إلا هو و فى عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار و تكل الأبصار و تقلقل الجبال و تكع عنها فحول الرجال فكيف بعظمة خالقها و مبدعها و الذي أودع فيها من الحكم و الأسرار ما أودع و الذى قد أمسك السماوات و الأرض أن تزولا من غير تعب و لا نصب فلهذا قال:–

(وَلَا يَـُٔودُهُۥ)يثقله

(حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ)بذاته فوق عرشه العلى بقهره لجميع المخلوقات العلى بقدره لكمال صفاته

العلو ثلاثة:-

1-القدر (مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً* وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً)[نوح:13-14]

2-القهر:و هذا علو مطلق فإنه قاهر لكل شيء الخلق كلهم تحت قهره يتصرف فيهم و أقداره تجرى عليهم رضوا أم لم يرضوا:

(إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا)[مريم:93] يعنى: ذليلاً مقهوراً خاضعاً ليس له شيء

3-علو الذات: كونه العالى على كل شيء العالى فوق خلقه كلهم و ليس فوقه شيء تعالى و تقدس و أرفع المخلوقات و أعلاها هو عرش الرحمن و هو أوسعها و أكبرها و أعظمها{ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ} [النحل: 50]

(ٱلۡعَظِيمُ)الذى تتضائل عند عظمته جبروت الجبابرة و تصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة

فسبحان من له العظمة العظيمة و الكبرياء الجسيمة و القهر و الغلبة لكل شيء

*كقوله {وَهُو الْعَلِيُّ الْكَبِيرِ}وَ كَقَوْلِهِ:-{الْكَبِيرُ الْمُتَعَال} [الرَّعْدِ:9] .

وَ هَذِهِ الْآيَاتُ وَ مَا فِي مَعْنَاهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الصِّحاحِ الْأَجْوَدُ فِيهَا طَرِيقَةُ السَّلَفِ الصَالِحِ إِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَ لَا تَشْبِيهٍ.

فقد اشتمـــــــلت هذه الآية على:–

1–توحيد الإلهية و توحيد الربوبية و توحيد الأسماء و الصفات

2–و على إحاطة ملكه و إحاطة علمه و سعة سلطانه و جلاله و مجده و عظمته و كبريائه و علوه على جميع مخلوقاته

فهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله وصفاته متضمنة لجميع الأسماء الحسنى و الصفات العلا (٢٥٥)

ثم قال تعالى:(لَآ إِكۡرَاهَ)لَا تُكْرِهُوا أَحَدًا

(فِي ٱلدِّينِۖ)عَلَى الدُّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ

فَإِنَّهُ بَيِّنٌ وَاضِحٌ جَلِيٌّ دَلَائِلُهُ وَ بَرَاهِينُهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُكْرَهَ أَحَدٌ عَلَى الدُّخُولِ فِيهِ بَلْ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ وَ شَرَحَ صَدْرَهُ وَ نَوَّرَ بَصِيرَتَهُ دَخَلَ فِيهِ عَلَى بَيِّنَةٍ وَ مَنْ أَعْمَى اللَّهُ قَلْبَهُ وَ خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَ بَصَرِهِ فَإِنَّهُ لَا يُفِيدُهُ الدُّخُولُ فِي الدِّينِ مُكْرَهًا مَقْسُورًا.

وَ قَدْ ذَكَرُوا أَنَّ سَبَبَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَإِنْ كَانَ حُكْمُهَا عَامًّا.

*وَ قَدْ ذَهَبَ طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ هَذِهِ مَحْمُولَةٌ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ وَ مَنْ دَخَلَ فِي دِينِهِمْ قَبْلَ النَّسْخِ وَ التَّبْدِيلِ إِذَا بَذَلُوا الْجِزْيَةَ.

وَ قَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ الْقِتَالِ-وَ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُدْعَى جَمِيعُ الْأُمَمِ إِلَى الدُّخُولِ فِي الدِّينِ الْحَنِيفِ دِينِ الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَبَى أَحَدٌ مِنْهُمُ الدُّخُولَ فِيهِ وَ لَمْ يَنْقَدْ لَهُ

1-أَوْ يَبْذُلِ الْجِزْيَةَ

2-قُوتِلَ حَتَّى يُقْتَلَ. وَ هَذَا مَعْنَى الْإِكْرَاهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:-

{سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ}[الفتح:16]

و قال تعالى:{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}[التَّحْرِيمِ:9]

و قال تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}[التَّوْبَةِ:123]

وَ فِي البخارى 3010 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:-

«عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ»(هو مجاز عن دخولهم فى الإسلام مكرهين ثم يحسن حالهم فيكون ذلك سبب دخولهم الجنة)

يَعْنِي: الْأَسَارَى الَّذِينَ يَقْدَمُ بِهِمْ بِلَادَ الْإِسْلَامِ فِي الْوَثَائِقِ وَ الْأَغْلَالِ وَ الْقُيُودِ وَ الْأَكْبَالِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يُسْلِمُونَ وَ تَصْلُحُ أَعْمَالُهُمْ وَ سَرَائِرُهُمْ فَيَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

* الصحيح المسند من أسباب النزول قال الإمام أبو جعفر بن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:-

كانت المرأة تكون مقلاتا(التى لا يعيش لها ولد)فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا لا ندع أبناءنا فأنزل الله تعالى ذكره {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}

يخبر تعالى أنه لا إكراه في الدين لعدم الحاجة إلى الإكراه عليه لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفية أعلامه غامضة أثاره أو أمر فى غاية الكراهة للنفوس

*و أما هذا الدين القويم و الصراط المستقيم فقد تبينت أعلامه للعقول و ظهرت طرقه وتبين أمره

(قَد تَّبَيَّنَ)عُرِفَ

(ٱلرُّشۡدُ)الهدى الموصل إلى الإسعاد و الإكمال

(مِنَ ٱلۡغَيِّۚ)الضلال المفضى بالعبد إلى الشقاء و الخسران.

*فالموفق إذا نظر أدنى نظر إليه آثره و اختاره

*و أما من كان سيئ القصد فاسد الإرادة خبيث النفس يرى الحق فيختار عليه الباطل و يبصر الحسن فيميل إلى القبيح فهذا ليس لله حاجة في إكراهه على الدين لعدم النتيجة و الفائدة فيه

–و المكره ليس إيمانه صحيحا

*و لا تدل الآية الكريمة على ترك قتال الكفار المحاربين و إنما فيها أن حقيقة الدين من حيث هو موجب لقبوله لكل منصف قصده اتباع الحق

*و أما القتال و عدمه فلم تتعرض له و إنما يؤخذ فرض القتال من نصوص أخر

*و لكن يستدل فى الآية الكريمة على قبول الجزية من غير أهل الكتاب كما هو قول كثير من العلماء

(فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ)

فيترك عبادة ما سوى الله –و طاعة الشيطان و يؤمن بالله إيمانا تاما أوجب له عبادة ربه و طاعته

*الطاغوت:

الشَّيْطَانُ فَإِنَّهُ يَشْمَلُ كُلَّ شَرٍّ كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَ التَّحَاكُمِ إِلَيْهَا وَ الِاسْتِنْصَارِ بِهَا.

(فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ)بالدين القويم الذي ثبتت قواعده و رسخت أركانه

*و كان المتمسك به على ثقة من أمره لكونه استمسك(بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ)

التى(لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ)و أما من عكس القضية فكفر بالله و آمن بالطاغوت فقد أطلق هذه العروة الوثقى التى بها العصمة والنجاة و استمسك بكل باطل مآله إلى الجحيم

(وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)فيجازى كلا منهما بحسب ما علمه منهم من الخير و الشر

*و هذا هو الغاية لمن استمسك بالعروة الوثقى و لمن لم يستمسك بها.

*البخارى3813-عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ:-كُنْتُ جَالِسًا فِى مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ فَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى وَجْهِهِ أَثَرُ الْخُشُوعِ فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ تَجَوَّزَ فِيهِمَا(خففهما)ثُمَّ خَرَجَ وَ تَبِعْتُهُ فَقُلْتُ:-

إِنَّكَ حِينَ دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ قَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَالَ:

وَ اللَّهِ مَا يَنْبَغِى(قال ذلك تواضعا أو كراهة الثناء على أحد بالقطع له بالجنة)لِأَحَدٍ أَنْ ﷺفَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ وَ رَأَيْتُ كَأَنِّى فِى رَوْضَةٍ - ذَكَرَ مِنْ سَعَتِهَا وَ خُضْرَتِهَا(لماذا قالوا ذلك القول)وَسْطَهَا عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ أَسْفَلُهُ فِى الأَرْضِ وَ أَعْلاَهُ فِى السَّمَاءِ فِى أَعْلاَهُ عُرْوَةٌ(ما يستمسك به كالحلقة)فَقِيلَ لِى:ارْقَ(ارتفع واعل والهاء للسكت)قُلْتُ:-

لاَ أَسْتَطِيعُ فَأَتَانِى مِنْصَفٌ(هو الخادم)فَرَفَعَ ثِيَابِى مِنْ خَلْفِى فَرَقِيتُ حَتَّى كُنْتُ فِى أَعْلاَهَا فَأَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ فَقِيلَ لَهُ: اسْتَمْسِكْ فَاسْتَيْقَظْتُ

وَ إِنَّهَا لَفِى يَدِى(أى العروة أي استيقظ قبل أن يتركها فى المنام وهذا أفاد أنه أخذ الإسلام ولن يتركه)فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِىِّ ﷺ قَالَ:-

«تِلْكَ الرَّوْضَةُ الإِسْلاَمُ وَ ذَلِكَ الْعَمُودُ عَمُودُ الإِسْلاَمِ وَ تِلْكَ الْعُرْوَةُ عُرْوَةُ الْوُثْقَى(الإيمان والإسلام)

فَأَنْتَ عَلَى الإِسْلاَمِ حَتَّى تَمُوتَ»وَ ذَاكَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ(٢٥٦)

....

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾

*ثم ذكر السبب الذي أوصلهم إلى ذلك فقال:(ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)و هذا يشمل :-

1-ولايتهم لربهم بأن تولوه فلا يبغون عنه بدلا

2-و لا يشركون به أحدا قد اتخذوه حبيبا و وليا و والوا أولياءه و عادوا أعداءه

*فتولاهم بلطـــــفه و منَّ عليهم بإحســـــانه:-

1-فأخرجهم من ظلمات الكفر و المعاصى و الجهل إلى نور الإيمان و الطاعة و العلم

2-و كان جزاؤهم على هذا أن سلمهم من ظلمات القبر و الحشر و القيامة إلى النعيم المقيم و الراحة و الفسحة و السرور

(وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ)

فتولوا الشيطان و حزبه و اتخذوه من دون الله وليا و والوه و تركوا ولاية ربهم و سيدهم

فسلطهم عليهم عقوبة لهم فكانوا يؤزونهم إلى المعاصى أزا و يزعجونهم إلى الشر إزعاجا

(يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ)من نور الإيمان و العلم و الطاعة

(إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ)ظلمة الكفر و الجهل و المعاصي

-فكان جزاؤهم على ذلك أن حُرموا الخيرات و فاتهم النعيم و البهجة و المسرات

-و كانوا من حزب الشيطان و أولياءه فى دار الحسرة

فلهذا قال تعالى:-(أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ) 257

(أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي)النمروذ(حَآجَّ)جادل(إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ)إلى جرائته و تجاهله و عناده و محاجته فيما لا يقبل التشكيك

*و ما حمله على ذلك إلا (أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ)فطغى و بغى و رأى نفسه مترئسا على رعيته

فحمله ذلك على أن حاج إبراهيم فى ربوبية الله فزعم أنه يفعل كما يفعل الله

(إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ)هو المنفرد بأنواع التصرف

*و خص منه الإحياء و الإماتة لكونهما أعظم أنواع التدابير و لأن الإحياء مبدأ الحياة الدنيا و الإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة فقال ذلك المحاج:-

(قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ)و لم يقل أنا الذى أحيي و أميت لأنه لم يدع الاستقلال بالتصرف

و إنما زعم أنه يفعل كفعل الله و يصنع صنعه فزعم أنه يقتل شخصا فيكون قد أماته

و يستبقي شخصا فيكون قد أحياه فلما رآه إبراهيم يغالط فى مجادلته

و يتكلم بشيء لا يصلح أن يكون شبهة فضلا عن كونه حجة اطرد معه فى الدليل:-

(قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ)عيانا يقر به كل أحد حتى ذلك الكافر

(فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ)و هذا إلزام له بطرد دليله إن كان صادقا فى دعواه

فلما قال له أمرا لا قوة له فى شبهة تشوش دليله و لا قادحا يقدح فى سبيله

(فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ)أُخرس فلا يتكلم-تحير فلم يرجع إليه جوابا و انقطعت حجته و سقطت شبهته

*و هذه حالة المبطل المعاند الذى يريد أن يقاوم الحق و يغالبه فإنه مغلوب مقهور

فلذلك قال تعالى: (وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ)

بل يبقيهم على كفرهم و ضلالهم و هم الذين اختاروا لأنفسهم ذلك

*و إلا فلو كان قصدهم الحق و الهداية لهداهم إليه و يسر لهم أسباب الوصول إليه

-ففــــى هذه الآيـــــة:-برهان قاطع على تفرد الرب [بالخـــــلق و التــــدبير]

و يلزم من ذلك أن يُفرد بالعبادة و الإنابة و التوكل عليه في جميع الأحوال

-قال ابن القيم رحمه الله:-و فى هذه المناظرة نكتة لطيفة جدا و هى:-

أن شرك العَالَم إنما هو مستند إلى عبادة الكواكب و القبور ثم صورت الأصنام على صورها

*فتضمن الدليلان اللذان استدل بهما إبراهيم إبطال إلهية تلك جملةً:-

1-بأن الله وحده هو الذى يحيي و يميت

2–و لا يصلح الحى الذى يموت للإلهية لا فى حال حياته و لا بعد موته فإن له ربا قادرا قاهرا متصرفا فيه إحياء و إماتة

*و من كان كذلك فكيف يكون إلها حتى يتخذ الصنم على صورته يعبد من دونه

*و كذلك الكواكب أظهرها و أكبرها للحس هذه الشمس و هى مربوبة مدبرة مسخرة لا تصرف لها بنفسها بوجه ما بل ربها و خالقها سبحانه يأتى بها من مشرقها فتنقاد لأمره و مشيئته فهى مربوبة مسخرة مدبرة لا إله يعبد من دون الله 258

و هناك دليل آخر على توحد الله بالخلق و التدبير و الإماتة و الإحياء فقال:–

(أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ)قد باد أهلها و فنى سكانها

(وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا)سقطت حيطانها على عروشها

فلم يبق بها أنيس بل بقيت موحشة من أهلها مقفرة فوقف عليها ذلك الرجل متعجبا

و (قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا)استبعادا لذلك و جهلا بقدرة الله تعالى

فلما أراد الله به خيرا أراه آية فى نفسه و فى حمار هو كان معه طعام و شراب

(فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ)الله :أى بواسطة الملك

(كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ)

استقصارا لتلك المدة التى مات فيها لكونه قد زالت معرفته و حواسه و كان عهد حاله قبل موته فقيل له

(قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ)يتغير

*بل بقى على حاله على تطاول السنين و اختلاف الأوقات عليه

*ففيه أكبر دليل على قدرته حيث أبقاه و حفظه عن التغير و الفساد مع أن الطعام و الشراب من أسرع الأشياء فسادا

(وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ)و كان قد مات و تمزق لحمه و جلده و انتثرت عظامه و تفرقت أوصاله

(وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ)على قدرة الله و بعثه الأموات من قبورهم

[لتكون أنموذجا محسوسا مشاهدا بالأبصار]فيعلموا بذلك صحة ما أخبرت به الرسل

(وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا)ندخل بعضها في بعض و نركب بعضها ببعض

(ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ)فنظر إليها عيانا كما وصفها الله تعالى

(فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ)ذلك و علم قدرة الله تعالى

(قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

والظاهر من سياق الآية أن هذا رجل منكر للبعث أراد الله به خيرا و أن يجعله آية و دليلا للناس لثلاثة أوجه:-

أحدها قوله:-(أنى يحي هذه الله بعد موتها)و لو كان نبيا أو عبدا صالحا لم يقل ذلك

و الثاني:-أن الله أراه آية في طعامه و شرابه و حماره و نفسه ليراه بعينه فيقر بما أنكره

و لم يذكر فى الآية أن القرية المذكورة عمرت و عادت إلى حالتها و لا فى السياق ما يدل على ذلك

و لا فى ذلك كثير فائدة ما الفائدة الدالة على إحياء الله للموتى فى قرية خربت ثم رجع إليها أهلها أو غيرهم فعمروها؟!

و إنما الدليل الحقيقى فى إحيائه و إحياء حماره و إبقاء طعامه و شرابه بحاله

و الثالث:-فى قوله:(فلما تبين له)أمر كان يجهله و يخفى عليه فعلم بذلك صحة ما ذكرناه و الله أعلم 259

وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ
قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا
ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾
مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ
وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾
۞ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ﴿٢٦٣﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ
وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ
لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

(وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ)أَنَّهُ لَمَّا قَالَ لِنُمْرُوذَ:-

{رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ}أَحَبَّ أَنْ يَتَرَقَّى مِنْ عِلْمِ الْيَقِينِ فِي ذَلِكَ إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ وَ أَنْ يَرَى ذَلِكَ مُشَاهِدَةً فَقَالَ:-

{رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}

*البخارى3372 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ:-

{رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}

وَ يَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي(يستند ويعتمد)إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ

وَ لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ(الذى دعاه إلى الخروج من السجن و لأسرعت في الخروج يشير بذلك ﷺإلى قوله تعالى{فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن}يوسف 50 و قوله ﷺذلك تواضع منه حيث إنه وصف يوسف عليه السلامبشدة الصبر ولا يعرى ذلك قلة صبره ﷺأو أنه ﷺيشير إلى الأخذ بالأسهل فيما ليس فيه معصية)

*فَلَيْسَ الْمُرَادُ هَاهُنَا بِالشَّكِّ مَا قَدْ يَفْهَمُهُ مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ بِلَا خِلَافٍ.

–و هذا فيه أيضا أعظم دلالة حسية على قدرة الله و إحيائه الموتى للبعث و الجزاء

*فأخبر تعالى عن خليله إبراهيم أنه سأله أن يريه ببصره كيف يحيي الموتى لأنه قد تيقن ذلك بخبر الله تعالى

*و لكنه أحب أن يشاهده عيانا ليحصل له مرتبة عين اليقين فلهذا قال الله له:–

(قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي)

و ذلك أنه بتوارد الأدلة اليقينية مما يزداد به الإيمان و يكمل به الإيقان و يسعى في نيله أولو العرفان فقال له ربه:(قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ)ضمهن(إِلَيْكَ)و اذبحهن و قطعهن و اخلط أجزاءهن بعضها ببعض ليكون ذلك بمرأى منك و مشاهدة و على يديك

(ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا)من الجبال التى فى القرب منه جزء من تلك الأجزاء

(ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا)

تحصل لهن حياة كاملة و يأتينك في هذه القوة و سرعة الطيران ففعل إبراهيم عليه السلام ذلك و حصل له ما أراد و هذا من ملكوت السماوات و الأرض الذى أراه الله إياه في قوله

(وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ)الأنعام: ٧٥

الصدقة برهان العبودية 261-283

ثم قال:(وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

ذو قوة عظيمة سخر بها المخلوقات فلم يستعص عليه شيء منها بل هى منقادة لعزته خاضعة لجلاله و مع ذلك فأفعاله تعالى تابعة لحكمته لا يفعل شيئا عبثا 260

(مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ)فى طاعته و مرضاته و أولاها إنفاقها فى الجهاد فى سبيله

هذا بيان للمضاعفة التى ذكرها الله فى قوله

(مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) البقرة: ٢٤٥

(كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ)

و هذا إحضار لصورة المضاعفة بهذا المثل الذى كان العبد يشاهده ببصره فيشاهد هذه المضاعفة ببصيرته فيقوى شاهد الإيمان مع شاهد العيان

←فتنقاد النفس مذعنة للإنفاق سامحة بها مؤملة لهذه المضاعفة الجزيلة و المنة الجليلة

(وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ)هذه المضاعفة

(لِمَن يَشَآءُ)أى: بحســـــب:-

1-حــــال المنفق 2-و إخـــــلاصه و صدقه 3-و بحســـــب حال النفقة

4-و حلهـــــا و نفعها 5-و وقوعهـــــا موقعها

*و يحتمل أن يكون (والله يضاعف)أكثر من هذه المضاعفة(لمن يشاء)فيعطيهم أجرهم بغير حساب

(وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ)الفضل واسع العطاء لا ينقصه نائل و لا يحفيه سائل

*فلا يتوهم المنفق أن تلك المضاعفة فيها نوع مبالغة لأن الله تعالى لا يتعاظمه شيء و لا ينقصه العطاء على كثرته

و مع هذا فهو(عَلِيمٌ)بمن يستحق هذه المضاعفة و من لا يستحقها

[فيضع المضاعفة فى موضعها لكمال علمه و حكمته]

*مسلم 1892 عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ فَقَالَ:-هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ»(فيها خطام و هو قريب من الزمام)

*مسلم 1151 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

" كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِائَة ضِعْف قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:-

إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَ أَنَا أَجْزِى بِهِ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَ طَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي "-لِلصَّائِمِ فَرْحَتَـــــــانِ:

1- فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ

2-وَ فَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ

261

(ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ)فى طاعة الله و سبيله

(ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ)بما ينقصها و يفسدها (مَنّٗا)من المن بها على المنفق عليه:–

بالقلب أو باللسان بأن يعدد عليه إحسانه و يطلب منه مقابلته

(وَلَآ أَذٗى)قـــــولا أو فعلا

(لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ)فهؤلاء لهم أجرهم اللائق بهم

(وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ)فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

(وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ)

على ما خلفوه من الاولاد و لا ما فاتهم من الحياة الدنيا و زهرتها لانهم صاروا الي ما هو خير لهم من ذلك

–فحصل لهم الخير و اندفع عنهم الشر لأنهم عملوا عملا خالصا لله سالما من المفسدا

262

(قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ)تعرفه القلوب و لا تنكره

و يـــــدخل فى ذلك:–

1–كل قول كريم فيه إدخال السرور على قلب المسلم

2–و يدخل فيه رد السائل بالقول الجميل و الدعاء له

(وَمَغۡفِرَةٌ)لمن أساء إليك بترك مؤاخذته و العفو عنه و يدخل فيه العفو عما يصدر من السائل مما لا ينبغى

*فالقول المعروف و المغفرة (خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ)التى (يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ)

*لأن القول المعروف:–إحسان قولى

*و المغفرة إحسان:–أيضا بترك المؤاخذة

و كلاهما إحسان ما فيه مفسد فهما أفضل من الإحسان بالصدقة التى يتبعها أذى بمنّ أو غيره

*مسلم 106عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:-«ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَ لَا يُزَكِّيهِمْ(لا يطهرهم من دنس ذنوبهم)وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(مؤلم قال الواحدى هو العذاب الذى يخلص إلى قلوبهم وجعة)»

قَالَ:-فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺثَلَاثَ مِرَارًا قَالَ أَبُو ذَرٍّ:-خَابُوا وَ خَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ:-«الْمُسْبِلُ(المرخى إزاره الجار طرفة خيلاء)وَ الْمَنَّانُ وَ الْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ»

–و مفهوم الآيـــــة أن:–

*الصدقة التى لا يتبعها أذى أفضل من القول المعروف و المغفرة

و إنما كان المنّ بالصدقة مفسدا لها محرما:–

1–لأن المنّة لله تعالى وحده و الإحسان كله لله فالعبد لا يمنّ بنعمة الله و إحسانه و فضله و هو ليس منه

2–و أيضا فإن المانّ مستعبِدٌ لمن يمنّ عليه و الذّل و الاستعباد لا ينبغى إلا لله

و الله غنى بذاته عن جميع مخلوقاته و كلها مفتقرة إليه بالذات فى جميع الحالات و الأوقات

*فصدقتكم و إنفاقكم و طاعاتكم يعود مصلحتها إليكم و نفعها إليكم

(وَٱللَّهُ غَنِيٌّ)عنها

و مع هذا فهو(حَلِيمٌ)على من عصاه لا يعاجله بعقوبة مع قدرته عليه

و لكن رحمته و إحسانه و حلمه يمنعه من معاجلته للعاصين بل يمهلهم و يُصرّف لهم الآيات لعلهم يرجعون إليه و ينيبون إليه

فإذا علم تعالى أنه لا خير فيهم و لا تغنى عنهم الآيات و لا تفيد بهم المثلات أنزل بهم عقابه و حرمهم جزيل ثوابه

264

(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم)ينهى عباده تعالى لطفا بهم و رحمة عن إبطال صدقاتهم

(بِٱلۡمَنِّ)مال يعطاه صدقة عليه يهان به و يذل فيشعر بمرارة الفقر أكثر و ألم الحاجة أشد

(وَٱلۡأَذَىٰ)يتأذى بالكلام أو الفعل

ففيه أن المنّ و الأذى يبطل الصدقة....و يستدل بهذا على أن الأعمال السيئة تبطل الأعمال الحسنة

كقوله(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ) الحجرات:٢

–فكما أن الحسنات يذهبن السيئات فالسيئات تبطل ما قابلها من الحسنات

*و فى هذه الآية مع قوله تعالى(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ) محمد: ٣٣ :–

حث على تكميل الأعمال و حفظها من كل ما يفسدها لئلا يضيع العمل سدى

(كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ)

أنتم و إن قصدتم بذلك وجه الله في ابتداء الأمر فإن المنة و الأذى مبطلان لأعمالكم فتصير أعمالكم بمنزلة الذي يعمل لمراءاة الناس و لا يريد به الله والدار الآخرة فهذا لا شك أن عمله من أصله مردود

–لأن شرط العمل أن يكون لله وحده

*و هذا فى الحقيقة عمل للناس لا لله فأعماله باطلة و سعيه غير مشكور فمثله المطابق لحاله

(فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ)الحجر الأملس الشديد

(عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ)مطر غزير

(فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ)ليس عليه شيء من التراب

فكذلك حال هذا المرائى:–قلبه غليظ قاس بمنزلة الصفوان

و صدقته و نحوها من أعماله بمنزلة التراب الذى على الصفوان

إذا رآه الجاهل بحاله ظن أنه أرض زكية قابلة للنبات فإذا انكشفت حقيقة حاله زال ذلك التراب و تبين أن عمله بمنزلة السراب

و أن قلبه غير صالح لنبات الزرع و زكائه عليه بل الرياء الذى فيه و الإرادات الخبيثة تمنع من انتفاعه بشيء من عمله

فلهذا قال(لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ)لا يجدون شيئًا من الثواب على ما أنفقوه.

*من أعمالهم التى اكتسبوها لأنهم وضعوها فى غير موضعها و جعلوها لمخلوق مثلهم لا يملك لهم ضررا و لا نفعا و انصرفوا عن عبادة من تنفعهم عبادته فصرف الله قلوبهم عن الهداية

فلهذا قال:(وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ)264

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

*ضرب الله المثل المنفقين أموالهم على وجه تزكو عليه نفقاتهم و تقبل به صدقاتهم فقال تعالى:-

(وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ)قصدهم بذلك رضى ربهم و الفوز بقربه

(وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ)

صدر الإنفاق على وجه منشرحة له النفس سخية به لا على وجه التردد و ضعف النفس في إخراجها

و ذلك أن النفـــــقة يعرض لها آفتـــــان:-

1-إما أن يقصد الإنسان بها محمدة الناس و مدحهم و هو الـــــرياء

2-أو يخرجها على خــــور و ضــــعف عزيمة و تــــردد

فهؤلاء سلموا من هاتين الآفتين فأنفقوا ابتغاء مرضات الله لا لغير ذلك من المقاصد و تثبيتا من أنفسهم فمثل نفقة هؤلاء

(كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ)كثيرة الأشجار غزيرة الظلال من الاجتنان و هو [الستر] لستر أشجارها ما فيها و هذه الجنة

(بِرَبْوَةٍ)محل مرتفع ضاح للشمس في أول النهار و وسطه و آخره

فثماره أكثر الثمار و أحسنها ليست بمحل نازل عن الرياح و الشمس

فـــــ(أَصَابَهَا)تلك الجنة التي بربوة

(وَابِلٌ)هو المطر الغزير

(فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ)تضاعفت ثمراتها لطيب أرضها و وجود الأسباب الموجبة لذلك و حصول الماء الكثير الذى ينميها و يكملها

(فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞ)مطر قليل يكفيها لطيب منبتها

فهذه حالة المنفقين أهل النفقات الكثيرة و القليلة كل على حسب حاله و كل ينمى له ما أنفق أتم تنمية و أكملها

*و المنمى لها هو الذي أرحم بك من نفسك الذى يريد مصلحتك حيث لا تريدها

*فيالله لو قُدِر وجود بستان في هذه الدار بهذه الصفة لأسرعت إليه الهمم و تزاحم عليه كل أحد و لحصل الاقتتال عنده مع انقضاء هذه الدار و فنائها و كثرة آفاتها وشدة نصبها وعنائها

*و هذا الثواب الذى ذكره الله كأن المؤمن ينظر إليه بعين بصيرة الإيمان دائم مستمر فيه أنواع المسرات و الفرحات

*و مع هذا تجد النفوس عنه راقدة و العزائم عن طلبه خامدة

–أترى ذلك زهدا فى الآخرة و نعيمها أم ضعف إيمان بوعد الله و رجاء ثوابه؟!

*و إلا فلو تيقن العبد ذلك حق اليقين و باشر الإيمان به بشاشة قلبه:–

1–لانبعثت من قلبه مزعجات الشوق إليه

2–و توجهت همم عزائمه إليه

3–و طوعت نفسه له بكثرة النفقات رجاء المثوبات

و لهذا قال تعالى:(وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ)فيعلم عمل كل عامل و مصدر ذلك العمل فيجازيه عليه أتم الجزاء

*البخارى4538 - قَالَ عُمَرُ ﷺيَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ:فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ:-

{أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ} [البقرة: 266]؟ قَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ فَغَضِبَ عُمَرُ فَقَالَ: «قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لاَ نَعْلَمُ»

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:-فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ(أى من العلم بتفسيرها)يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ قَالَ عُمَرُ:-

«يَا ابْنَ أَخِي قُلْ وَ لاَ تَحْقِرْ نَفْسَكَ»قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ضُرِبَتْ مَثَلًا لِعَمَلٍ قَالَ عُمَرُ: «أَيُّ عَمَلٍ؟»

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِعَمَلٍ قَالَ عُمَرُ:-«لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ(أضاع ثواب أعماله الصالحة بما ارتكب من المعاصى)»

*وَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ كِفَايَةٌ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ وَ تَبْيِينِ مَا فِيهَا مِنَ الْمَثَلِ بِعَمَلِ مَنْ أَحْسَنَ الْعَمَلَ أَوَّلًا ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ انْعَكَسَ سَيْرُهُ فَبَدَّلَ الْحَسَنَاتِ بِالسَّيِّئَاتِ عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ فَأَبْطَلَ بِعَمَلِهِ الثَّانِي مَا أَسْلَفَهُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الصَالِحِ

-وَ احْتَاجَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَوَّلِ فِي أَضْيَقِ الْأَحْوَالِ فَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ مِنْهُ شَيْءٌ وَ خَانَهُ أحوجَ مَا كَانَ إِلَيْهِ

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ} وَ هُوَ الرِّيحُ الشَّدِيدُ {فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ}

أَيْ: أَحْرَقَ ثِمَارَهَا وَ أَبَادَ أَشْجَارَهَا فَأَيُّ حَالٍ يَكُونُ حَالُهُ 265

(أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ)

–وهذا المثل مضروب لمن عمل عملا لوجه الله تعالى من صدقة أو غيرها ثم عمل أعمالا تفسده فمثله كمثل صاحب هذا البستان الذي فيه من كل الثمرات

*و خص منها [النخل و العنب] لفضلهما و كثرة منافعهما لكونهما [غذاء و قوتا و فاكهة و حلوى]

(تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ)و تلك الجنة فيها الأنهار الجارية التي تسقيها من غير مؤنة

(لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ)

و كان صاحبها قد اغتبط بها و سرته ثم إنه أصابه الكبر فضعف عن العمل و زاد حرصه

(وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ)و كان له ذرية ضعفاء ما فيهم معاونة له بل هم كَلٌ عليه و نفقته و نفقتهم من تلك الجنة

فبينما هو كذلك (فَأَصَابَهَآ)إذ أصاب تلك الجنة (إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ)

و هو الريح القوية التى تستدير ثم ترتفع في الجو و فى ذلك الإعصار نار

(فَٱحْتَرَقَتْ)تلك الجنة

*فلا تسأل عما لقى ذلك الذي أصابه الكبر من [الهم و الغم و الحزن]فلو قدر أن الحزن يقتل صاحبه لقتله الحزن

*ذلك من عمل عملا لوجه الله فإن أعماله بمنزلة البذر للزروع و الثمار

*و لا يزال كذلك حتى يحصل له من عمله جنة موصوفة بغاية الحسن و البهاء و تلك المفسدات التى تفسد الأعمال بمنزلة الإعصار الذى فيه نار

*و العبد أحوج ما يكون لعمله إذا مات و كان بحالة لا يقدر معها على العمل فيجد عمله الذى يؤمل نفعه هباء منثورا و وجد الله عنده فوفاه حسابه. و الله سريع الحساب

*فلو علم الإنسان و تصور هذه الحال و كان له أدنى مسكة من عقل لم يقدم على ما فيه مضرته و نهاية حسرته

*و لكن ضعف الإيمان و العقل و قلة البصيرة يصير صاحبه إلى هذه الحالة التى لو صدرت من مجنون لا يعقل لكان ذلك عظيما و خطره جسيما

فلهذا أمر تعالى بالتفكر و حثَّ عليه فقال:–(كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)266

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟)يأمر تعالى عباده المؤمنين بالنفقة(مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ)ما يسر لهم من المكاسب

(وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ)و مما أخرج لهم من الأرض فكما منَّ عليكم بتسهيل تحصيله فأنفقوا منه شكرا لله و أداء لبعض حقوق إخوانكم عليكم و تطهيرا لأموالكم

(وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ)

و اقصدوا فى تلك النفقة الطيب الذى تحبونه لأنفسكم و لا تيمموا الردىء الذى لا ترغبونه

(وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ)على وجه الإغماض و المسامحة

*فَكَيْفَ تَرْضَوْنَ لِي مَا لَا تَرْضَوْنَ لِأَنْفُسِكُمْ وَ حَقِّى عَلَيْكُمْ مِنْ أَطْيَبِ أَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفَسِهِ!!

(وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ)عنكم و نفع صدقاتكم و أعمالكم عائد إليكم

و مع هذا فهو (حَمِيدٌ)على ما يأمركم به من:-[الأوامر الحميدة و الخصال السديدة]

*أَي: الْمَحْمُودُ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَ أَقْوَالِهِ وَ شَرْعِهِ وَ قَدَرِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ لَا رَبَّ سِوَاهُ.

*فعليكم أن تمتثلوا أوامره لأنها قوت القلوب و حياة النفوس و نعيم الأرواح كقوله(لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ)الحج: ٣٧

*الصحيح المسند من أسباب النزول:الترمذى 2987 - عَنْ الْبَرَاءِ {وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ} [البقرة: 267] قَالَ:

«نَزَلَتْ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ كُنَّا أَصْحَابَ نَخْلٍ فَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي مِنْ نَخْله عَلَى قَدْرِ كَثْرَتِهِ وَ قِلَّتِه

وَ كَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي بِالقِنْوِ وَ القِنْوَيْنِ فَيُعَلِّقُهُ فِي الْمَسْجِدِ وَ كَانَ أَهْلُ الصُّفَّةِ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ

فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا جَاعَ أَتَى القِنْوَ فَضَرَبَهُ بِعَصَاهُ فَيَسْقُطُ مِنَ البُسْرِ وَ التَّمْرِ فَيَأْكُلُ

وَ كَانَ نَاسٌ مِمَّنْ لَا يَرْغَبُ فِي الخَيْرِ يَأْتِي الرَّجُلُ بِالقِنْوِ فِيهِ الشِّيصُ وَ الحَشَفُ وَ بِالقِنْوِ قَدْ انْكَسَرَ فَيُعَلِّقُهُ»

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ} [البقرة: 267] قَالُوا: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أُهْدِىَ إِلَيْهِ مِثْلُ مَا أَعْطَى

لَمْ يَأْخُذْهُ إِلَّا عَلَى إِغْمَاضٍ أَوْ حَيَاءٍ»قَالَ: «فَكُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي أَحَدُنَا بِصَالِحِ مَا عِنْدَهُ»267

(ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ)

و إياكم أن تتبعوا عدوكم الشيطان الذي يأمركم بالإمساك و يخوفكم بالفقر و الحاجة إذا أنفقتم

و ليس هذا نصحا لكم بل هذا غاية الغش (إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ) فاطر: ٦

*بل أطيعوا ربكم الذي يأمركم بالنفقة على وجه يسهل عليكم و لا يضركم (وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ)

يَأْمُرُكُمْ بِالْمَعَاصِي وَ الْمَآثِمِ وَ الْمَحَارِمِ وَ مُخَالَفَةِ الخَلَّاق

(وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ)لذنوبكم و تطهيرا لعيوبكم

(وَفَضۡلٗاۗ)و إحسانا إليكم فى الدنيا و الآخرة مــــــن:-

1- الخلـــــف العاجل

2-و انشـــــراح الصدر

3- و نعيــــم القلب و الروح و القبر

4-و حصــــــول ثوابها و توفيتها يوم القيامة و ليس هذا عظيما عليه لأنه (وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ)الفضل عظيم الإحسان

(عَلِيمٌ)بما يصدر منكم من النفقات قليلها و كثيرها سرها و علنها

فيجازيكم عليها من سعته و فضله و إحسانه فلينظر العبد نفسه إلى أى الداعيين يميل

*فقد تضمـــــــنت هاتان الآيتــــان أمورا عظيمة:-

1-منها:الحث على الإنفــــاق

2-و منها:بيان الأسباب الموجبة لذلك

3-و منها:وجوب الزكاة من النقدين و عروض التجارة كلها لأنها داخلة فى قوله:-(مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ)

4-و منها:وجوب الزكاة في الخارج من الأرض من الحبوب و الثمار و المعادن

5-و منها:أن الزكاة على من له الزرع و الثمر لا على صاحب الأرض لقوله(وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ)

فمن أخرجت له وجبت عليه

6-و منها: أن الأموال المعدة للاقتناء :-من العقارات و الأوانى و نحوها ليس فيها زكاة

*و كذلك الديون و الغصوب و نحوهما إذا كانت مجهولة

*أو عند من لا يقدر ربها على استخراجها منه ليس فيها زكاة

لأن الله أوجب النفقة من الأموال التى يحصل فيها النماء الخارج من الأرض و أموال التجارة مواساة من نمائها

7-و أما الأموال التى غير معدة لذلك و لا مقدورا عليها فليس فيها هذا المعنى

8-و منها: أن الردىء ينهى عن إخراجه و لا يجزئ فى الزكاة ﴿٢٦٨﴾

*لما أمر تعالى بهذه الأوامر العظيمة المشتملة على الأسرار و الحكم و كان ذلك لا يحصل لكل أحد

(وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ)بل لمن منَّ عليه و آتاه الله الحكمة

و هي العلم النافع و العمل الصالح و معرفة أسرار الشرائع وحكمها

و إن من آتاه الله الحكمة فقد آتاه خيرا كثيرا

و أى خير أعظم من خير فيه سعادة الدارين و النجاة من شقاوتهما!

و فيه التخصيص بهذا الفضل و كونه من ورثة الأنبياء فكمال العبد متوقف على الحكمة

إذ كماله بتكميل قوتيه العلمية و العملية :-

*فتكميل قوته العلمية بمعرفة الحق و معرفة المقصود به

*و تكميل قوته العملية بالعمل بالخير و ترك الشر و بذلك يتمكن من الإصابة بالقول و العمل

و تنزيل الأمور منازلها فى نفسه و فى غيره و بدون ذلك لا يمكنه ذلك

*و لما كان الله تعالى قد فطر عباده على عبادته و محبة الخير و القصد للحق فبعث الله الرسل مذكرين لهم بما ركز في فطرهم و عقولهم و مفصلين لهم ما لم يعرفوه

*انقسم النــــاس قسمــــــين :-

1-قسم أجابوا دعوتهم فتذكروا ما ينفعهم ففعلوه و ما يضرهم فتركوه

(و هؤلاء هم أولو الألباب الكاملة و العقول التامة)

2-و قسم لم يستجيبوا لدعوتهم بل أجابوا ما عرض لفطرهم من الفساد و تركوا طاعة رب العباد

(فهؤلاء ليسوا من أولى الألباب)

فلهذا قال تعالى: (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ)

*البخارى 73 - عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ:- قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-" لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَــــــيْنِ:-

(المراد حسد الغطبة وهو أن يرى النعمة في غيره فيتمناها لنفسه من غير أن تزول عن صاحبها وهو جائز ومحمود)

1-رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ(تغلب على شح نفسه و أنفقه في وجوه الخير)

2-وَ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ(علم الذي يمنع من الجهل ويزجر عن القبيح)فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَ يُعَلِّمُهَا

الاعجاز العلمى فى (مثل جنة بربوة) الرابط

فقد شبه الله سبحانه وتعالى الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله و تثبيتاً من أنفسهم بالبستان المرتفع للأسباب العلمية النباتية التالية :

أولاً : البستان المرتفع من ناحية التربة الزراعية :

1.هى أجود الأراضى الزراعية في المكان بشرط توافر المياه و وصولها إلى الزرع .

2.مرتفعة عن مستوى المياه الجوفية التى تحدد عمق الجذور و تضر بالنبات و تسبب له الأمراض.

3.صرفها جيد و لا تتراكم فيها الأملاح

4.لا يغرقها المطر الشديد و لا يتلف زرعها.

ثانياً : البستان المرتفع من ناحية الرى :

1.هذا البستان يروى بالراحة و بأحدث أساليب الرى التى توصلنا إليها أخيراً و هو الرى بالرش (الوابل و الطل)

2.إذا زاد المطر فإن نباتاتها لا تفسد و لا تموت لارتفاعها عن الأرض .

3.إذا غاب عنها المطر الشديد أصابها الطل و الندى و الرذاذ الخفيف .

ثالثاً : البستان المرتفع من ناحية الرياح:

1.الرياح المحملة بالمياه (الأمطار) تمطرها و ترويها بالرش و لا تفسدها.

2.الرياح المحملة (بالندى)ترويها لخفة الندى و حمل الرياح له فى مستوى مرتفع يصيب البستان العالى .

3.الرياح المحملة (بالأتربة و الرمال) لا تفسدها لثقل الرمال و وجودها فى طبقة سفلى فى الرياح و هذه الرمال لا تدفنها لارتفاع الجنة عن مستوى الأرض.

4.الرياح المحملة (بحبوب اللقاح) تلقحها و تضاعف ثمارها.

رابعاً :-البستان المرتفع من ناحية الحرارة :

الجنة بالربوة العالية درجة حرارتها معتدلة

فالأماكن المنخفضة ذات حرارة عالية و الأماكن المرتفعة ذات حرارة منخفضة

أما الجنة بالربوة فدرجة حرارتها بين الدرجتين درجة الحرارة المرتفعة(فى الأماكن المنخفضة) و درجة الحرارة المخفضة(فى الأماكن المرتفعة)[أى معتدلة].

خامساً :-مميزات المزروعات فى البستان المرتفع :

1.أزهارها واضحة تراها الحشرات من بعيد فتزورها و تنقل بينها حبوب اللقاح و تزيد من إنتاجيتها .

2.نباتاتها معرضة للضوء اللازم لعملية البناء الضوئى و لحياة النبات .

3.بعيدة عن الرعى الجائر للأغنام و الإبل و الأبقار

4.جذورها عميقة و لا تقتلع الرياح أشجارها بسهولة .

سادساً : البستان المرتفع من ناحية الثمار:-

أجود أنواع الثمار و أعلاها إنتاجية فى المنطقة و أقلها إصابة بالأمراض .

سابعاً : الحراسة و المراقبة فى البستان المرتفع :-

حراسة الأرض المرتفعة أسهل و مراقبتها أيسر حتى أن نقاط المراقبة الحصينة و الممتازة دائماً تكون على مرتفع الأرض.

فهل كان النبى ﷺعالماً بعلم النبات و علم الأرصاد الجوية و البيئة النباتية و المياه الجوفية و التربة الزراعية حتى يضرب هذا المثل العلمى المحكم:-

حيث مثل إنفاق المؤمنين بالجنة العالية المكان و التى تروى بالراحة وبأحدث وسائل الرى و تؤتى أكلها ضعفين بإذن ربها.

هذا المثل يدلل على أن القرآن الكريم معجز و أن به من المعجزات ما يجعله صالحاً لكل زمان و مكان و كل يوم يرينا الله سبحانه و تعالى آياته فى كتابه الكريم و فى أنفسنا و فى كونه البديع

بقلم الدكتور نظمى خليل أبو العطا موسى أستاذ علوم النبات في جامعة عين شمس ومدير مركز ابن النفيس للخدمات الفنية في البحرين

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

(وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ)و هذا فيه المجازاة على النفقات واجبها و مستحبها قليلها و كثيرها التى أمر الله بها

(أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ)و النذور التى ألزمها المكلف نفسه

(فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ)

و إن الله تعالى يعلمها فلا يخفى عليه منها شىء و يعلم ما صدرت عنه هل هو الإخلاص أو غيره

–فإن صدرت عن إخلاص و طلب لمرضاة الله جازى عليها بالفضل العظيم و الثواب الجسيم

–و إن لم ينفق العبد ما وجب عليه من النفقات و لم يوف ما أوجبه على نفسه من المنذورات أو قصد بذلك رضى المخلوقات

⬅فإنه ظالم قد وضع الشىء فى غير موضعه و استحق العقوبة البليغة و لم ينفعه أحد من الخلق و لم ينصره

فلهذا قال:–(وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ)يوم القيامة ينقذونهم من عذاب الله و نقمته 270

(إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ)فتظهروها و تكون علانية حيث كان القصد بها وجه الله

(فَنِعِمَّا)فَنعْمَ الشىء

(هِىَ)لحصول المقصود بها

(وَإِن تُخْفُوهَا)تسروها

(وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ)

ففى هذا أن صدقة السر على الفقير أفضل من صدقة العلانية لأنه أبعد عن الرياء

*و أما إذا لم تؤت الصدقات الفقراء فمفهـــــوم الآية:-

أن السر ليس خيرا من العلانية فيرجع فى ذلك إلى المصلحة

-فإن كان فى إظهارها :-

1-إظهار شـــعائر الدين

2-و حصول الاقتداء و نحوه فهو أفضل من الإسرار

-و دل قوله:(وتؤتوها الفقراء)على أنه ينبغي للمتصدق :-

أن يتحرى بصدقته المحتاجين و لا يعطى محتاجا و غيره أحوج منه

*و الاصل أن الاصرار أفضل لهذه الاية و ما ثبت فى البخارى 660 -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:-

سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَاظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ(ظل عرشه وكنف رحمته):-

1-الإِمَامُ العَادِلُ

2-وَ شَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ

3-وَ رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ(شديد الحب لها و الملازمة للجماعة فيها)

4-وَ رَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ(اجتمعت قلوبهما و أجسادهما على الحب في الله)

وَ تَفَرَّقَا عَلَيْهِ(استمرا على تلك المحبة حتى فرق بينهما الموت)

5-وَ رَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ(امرأة لها مكانة ووجاهة ومال ونسب)وَ جَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ

6-وَ رَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى(الصدقة و أسرها عند إخراجها) حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ(كناية عن المبالغة في السر والإخفاء)مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ

7-وَ رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا(من الخلاء وهو موضع ليس فيه أحد من الناس)فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ (ذرفت بالدموع إجلالا لله و شوقا إلى لقائه)

*و لما ذكر تعالى أن الصدقة خير للمتصدق و يتضمن ذلك حصول الثواب قال:

(وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ)ففيه دفع العقاب

(وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)من خير و شر قليل و كثير و المقصود من ذلك المجازاة271

(لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ)

*الصحيح المسند من أسباب النزول:قال الإمام أبو جعفر بن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:-

كانوا لا يرضخون لقراباتهم من المشركين فنزلت{لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ولٰكِنَ الله يَهْدِي من يَشَاء

-يقول تعالى لنبيه ﷺليس عليك هدي الخلق و إنما عليك البلاغ المبين و الهداية بيد الله تعالى

-ففيها دلالة على أن النفقة كما تكون على المسلم تكون على الكافر و لو لم يهتد

فلهذا قال:-(وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ)قليل أو كثير على أى شخص كان من مسلم و كافر

(فَلِأَنفُسِكُمْ)نفعه راجع إليكم

(وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ)

هذا إخبار عن نفقات المؤمنين الصادرة عن إيمانهم أنها لا تكون إلا لوجه الله تعالى

*لأن إيمـــــانهم :-

1-يمنـــــعهم عن المقاصد الردية

2-و يوجب لهم الإخــــلاص

(وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ)يوم القيامة(يُوَفَّ إِلَيْكُمْ)تستوفون أجوركم

(وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)

*مسلم 1022عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﵁عَنِ النَّبِىِّ ﷺقَالَ:-قَالَ رَجُلٌ لأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ
1-فَوَضَعَهَا فِى يَدِ زَانِيَةٍ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ
قَالَ: اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ
2-فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِى يَدِ غَنِىٍّ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ:
تُصُدِّقَ عَلَى غَنِىٍّ قَالَ: اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِىٍّ لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ
3-فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِى يَدِ سَارِقٍ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ:تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ فَقَالَ:-
اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ وَ عَلَى غَنِىٍّ وَ عَلَى سَارِقٍ فَأُتِىَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ
أَمَّا الزَّانِيَةُ:-فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا
وَ لَعَلَّ الْغَنِىَّ:-يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ
وَ لَعَلَّ السَّارِقَ:-يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ "

أى: تنقصون من أعمالكم شيئا و لا مثقال ذرة كما لا يزاد فى سيئاتكم272

*ثم ذكر مصرف النفقات الذين هم أولى الناس بها فوصفهم بست صفات:-

أحدها:- الفـــــقر

و الثانى:-قوله:(أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ)حُبسوا و مُنعوا من التصرف أنهم هاجروا من بلادهم.

أى: قصروها على طاعة الله من جهاد و غيره فهم مستعدون لذلك محبوسون له

الثالث :-عجزهم عن الأسفار لطلب الرزق فقال:-(لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ)سفرا للتكسب

الرابع قوله:- (يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ)هذا بيان لصدق صبرهم و حسن تعففهم.

*البخارى1479 عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﵁:-أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:-
«لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِى يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَ اللُّقْمَتَانِ وَ التَّمْرَةُ وَ التَّمْرَتَانِ
وَ لَكِنِ الْمِسْكِينُ الَّذِى لاَ يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ وَ لاَ يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَ لاَ يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ»

الخامس:-أنه قال:-(تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ)بالعلامة التى ذكرها الله فى وصفهم

و هذا لا ينافى قوله:(يحسبهم الجاهل أغنياء)

فإن الجاهل بحالهم ليس له فطنة يتفرس بها ما هم عليه

و أما الفطن المتفرس فمجرد ما يراهم يعرفهم بعلامتهم

السادس قوله:–(لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ)إلحاحا

بل إن صدر منهم سؤال إذا احتاجوا لذلك لم يلحوا على من سألوا فهؤلاء أولى الناس و أحقهم بالصدقات لما وصفهم به من جميل الصفات

*و أما النفقة من حيث هى على أى شخص كان فهى خير و إحسان و بر يثاب عليها صاحبها و يؤجر

فلهذا قال:–(وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ)273

*ثم ذكر حالة المتصدقين فى جميع الأوقات على جميع الأحوال فقال:–(ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم)

أى:طاعته و طريق مرضاته لا في المحرمات و المكروهات و شهوات أنفسهم

(بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ)العظيم من الخير (عِندَ رَبِّهِمْ)الرحيم

*البخارى 56 - عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:-

«إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ»

في فم امرأتك أى ثثاب على ما تنفقه على زوجتك من طعام و غيره أو المراد ما تطعمه زوجتك بيدك مؤانسة وحسن معاشرة]

*البخارى55 - عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:-

«إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ(الزوجة والولد وغيرهما ممن هم في رعايته)يَحْتَسِبُهَا(يريد بها وجه الله تعالى)فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ»

(وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ)إذا خاف المقصرون

(وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)إذا حزن المفرطون

ففازوا بحصول المقصود المطلوب و نجوا من الشرور و المرهوب274

*و لما كمل تعالى حالة المحسنين إلى عباده بأنواع النفقات :–

ذكر حالة الظالمين المسيئين إليهم غاية الإساءة.

ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ
فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ
وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥
يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ
لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨
فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ
٢٧٩ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٨٠
وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١

(ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ)

*البخارى 7047-قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ -حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ
وَ إِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ وَ إِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً
وَ إِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الحِجَارَةَ
فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا...........
وَ أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِى أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَ يُلْقَمُ الحَجَرَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا»

–يخبر تعالى عن أكلة الربا و سوء مآلهم و شدة منقلبهم أنهم(لَا يَقُومُونَ)من قبورهم ليوم نشورهم

(إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ)يصرعه

(ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ)بالجنون

فيقومون من قبورهم حيارى سكارى مضطربين متوقعين لعظيم النكال و عسر الوبال فكما تقلبت عقولهم

و (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ)

و هذا لا يكون إلا من جاهل عظيم جهله أو متجاهل عظيم عناده جازاهم الله من جنس أحوالهم فصارت أحوالهم أحوال المجانين

و يحتمل أن يكون قوله: (لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس)

*أنه لما انسلبت عقولهم في طلب المكاسب الربوية :-

1-خفـــــت أحلامهم

2-و ضعــــــفت آراؤهم

3-و صاروا فى هيئتهم و حركاتهم يشبهون المجانين فى عدم انتظامها

4-و انســـــلاخ العقل الأدبى عنهم

قال الله تعالى رادا عليهم و مبينا حكمته العظيمة:-

(وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ)لما فيه من عموم المصلحة و شدة الحاجة و حصول الضرر بتحريمه

-و هذا أصل فى حل جميع أنواع التصرفات الكسبية حتى يرد ما يدل على المنع

(وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ)لما فيه من الظلم و سوء العاقبة و الـــــربا نــــوعان:-

1- ربا نسيئــــــة:-كبيع الربا بما يشاركه في العلة نسيئة و منه جعل ما فى الذمة رأس مال سلم

2-و ربا فضـــــل:-و هو بيع ما يجرى فيه الربا بجنسه متفاضلا

-و كلاهما محرم بالكتاب و السنة و الإجماع على ربا النسيئة

-و شذ من أباح ربا الفضل و خالف النصوص المستفيضة

-بل الربا من كبائر الذنوب و موبقاتها

(فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ)وعظ و تذكير و ترهيب عن تعاطى الربا على يد من قيضه الله لموعظته رحمة(مِّن رَّبِّهِۦ) بالموعوظ و إقامة للحجة عليه

(فَٱنتَهَىٰ)عن فعله و انــــــزجر عن تعاطيه

(فَلَهُۥ مَا سَلَفَ)ما تقدم من المعاملات التى فعلها قبل أن تبلغه الموعظة جزاء لقبوله للنصيحة

-دل مفهوم الآية أن من لم ينته جـــــوزى بالأول و الآخر

*مسلم -1218قال النبيﷺ في فتح مكة:-

وَ رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَ أَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ)

*وَ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِرَدِّ الزِّيَادَاتِ الْمَأْخُوذَةِ فِي حَالِ الْجَاهِلِيَّةِ

بل عفا عما سلف كما قال(فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ)

(وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ)فى مجازاته و فيما يستقبل من أموره

(وَمَنۡ عَادَ)

إلى تعاطى الربا و لم تنفعه الموعظة بل أصر على ذلك فقد استوجب العقوبة و قامت عليه الحجة

(فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ)

اختلف العلماء رحمهم الله فى نصوص الوعيد التى ظاهرها تخليد أهل الكبائر من الذنوب التى دون الشرك بالله

و الأحسن فيها أن يقال هذه الأمور التى رتب الله عليها الخلود فى النار موجبات و مقتضيات لذلك

–و لكن الموجب إن لم يوجد ما يمنعه ترتب عليه مقتضاه

و قد علم بالكتاب والسنة و إجماع سلف الأمة أن:–[التوحـــــيد و الإيمـــــان مانع من الخلود فى النار]

فلولا ما مع الإنسان من التوحيد لصار عمله صالحا للخلود فيها بقطع النظر عن كفره.

*البخارى 4544 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ «آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺآيَةُ الرِّبَا»

*مسلم 1598 عَنْ جَابِرٍ﷛ قَالَ:

«لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺآكِلَ الرِّبَا وَ مُؤْكِلَهُ وَ كَاتِبَهُ وَ شَاهِدَيْهِ» وَ قَالَ: «هُمْ سَوَاءٌ» 275

ثم قال تعالى: (يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ)يذهبه و يذهب بركته ذاتـــــا و وصـــــفا

–فيكون سببا لوقوع الآفات فيه و نـزع البركة عنه و إن أنفق منه لم يؤجر عليه بل يكون زادا له إلى النار

*كقوله(قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ)المائدة: ١٠٠

(وَيُرۡبِي ۗ)ينمى (ٱلصَّدَقَٰتِ)و ينزل البركة فى المال الذى أخرجت منه

–و ينمي أجر صاحبها و هذا لأن الجزاء من جنس العمل

–فإن المرابى قد ظلم الناس و أخذ أموالهم على وجه غير شرعى ➔فجوزى بـــــذهاب مـــــاله

–و المحسن إليهم بأنواع الإحسان ربه أكرم منه فيحسن عليه كما أحسن على عباده

*البخارى 7430 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ﷛ قَالَ:-قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

«مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ(ما يعادلها وزنا أو قيمة)مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ(حلال و من طريق مشروع)

وَ لاَ يَصْعَدُ(يقبل)إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ

ثُمَّ يُرَبِّيهَا(ينميها و يزيد فى أجرها)لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ(المهر إذا فطم)حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ

(كما لو كان تصدق بمقدار الجبل)

(وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ)لنعم الله لا يؤدى ما أوجب عليه من الصدقات و لا يسلم منه و من شره عباد الله

(أَثِيمٍ)قد فعل ما هو سبب لإثمه و عقوبته.

*ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مَادِحًا لِلْمُؤْمِنِينَ بِرَبِّهِمْ الْمُطِيعِينَ أَمْرَهُ الْمُؤَدِّينَ شُكْرَهُ الْمُحْسِنِينَ إِلَى خَلْقِهِ فِي إِقَامَةِ الصَّلَاةِ

وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ مُخْبِرًا عَمَّا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ وَأَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ التَّبِعَاتِ آمِنُونَ 276

(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا

هُمۡ يَحۡزَنُونَ)277

*لما ذكر أكلة الربا و كان من المعلوم أنهم لو كانوا مؤمنين إيمانا ينفعهم لم يصدر منهم ما صدر ذكر حالة المؤمنين و أجرهم و خاطبهم بالإيمان

* هؤلاء هم الذين يقبلون موعظة ربهم و ينقادون لأمره و أمرهم و من جملة تقواه:–

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ)اتْرُكُوا

(مَا بَقِيَ)مَا لَكُمْ عَلَى النَّاسِ

(مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ)الزِّيَادَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَمْوَالِ بَعْدَ هَذَا الْإِنْذَارِ(المعاملات الحاضرة الموجودة)

(إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)أَيْ: بِمَا شَرَعَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ تَحْلِيلِ الْبَيْعِ وَ تَحْرِيمِ الرِّبَا وَ غَيْرِ ذَلِكَ278

*و أما ما سلف فمن اتعظ عفا الله عنه ما سلف(فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ)

فإن لم ترتدعوا عما نهاكم الله عنه فاستيقنوا (بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ)

*و أما من لم ينزجر بموعظة الله و لم يقبل نصيحته فإنه مشاق لربه محارب له و هو عاجز ضعيف ليس له يدان في محاربة العزيز الحكيم الذى يمهل للظالم و لا يهمله حتى إذا أخذه أخذ عزيز مقتدر

(وَإِن تُبْتُمْ)عن الربا(فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ)أنزلوا عليها

(لَا تَظْلِمُونَ)من عاملتموه بأخذ الزيادة التى هى الربا

(وَلَا تُظْلَمُونَ)بنقص رءوس أموالكم279

(وَإِن كَانَ)المدين

(ذُو عُسْرَةٍ)لا يجد وفاء

(فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ)و هذا واجب عليه أن ينظره حتى يجد ما يوفى به

(وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)إما بــــــإسقاطها أو بعضها.

(وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

*يَأْمُرُ تَعَالَى بِالصَّبْرِ عَلَى الْمُعْسِرِ الَّذِي لَا يَجِدُ وَفَاءً فَقَالَ:{وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ}

أَيْ :لَا كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُ أَحَدُهُمْ لِمَدِينِهِ إِذَا حَلَّ عَلَيْهِ الدَّيْنُ: -

1-إِمَّا أَنْ تَقْــــــضِيَ

2-وَ إِمَّا أَنْ تُــــــرْبِيَ.

-ثُمَّ يَنْدُبُ إِلَى الْوَضْعِ عَنْهُ وَ يَعِدُ عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرَ وَالثَّوَابَ الْجَزِيلَ فَقَالَ:-

{وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}أَيْ: وَ أَنْ تَتْرُكُوا رَأْسَ الْمَالِ بِالْكُلِّيَّةِ وَ تَضَعُوهُ عَنِ الْمَدِينِ.

وَ قَدْ وَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِذَلِكَ:

*أحمد 23046 عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهِ صَدَقَةٌ»قَالَ: ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ:
«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ»قُلْتُ: سَمِعْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَقُولُ:-
«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهِ صَدَقَةٌ»ثُمَّ سَمِعْتُكَ تَقُولُ:«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ»
قَالَ لَهُ: «بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدَّيْنُ فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ»
*البخارى 2078 – عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ(يبيعهم مع تأخير الثمن إلى أجل)فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ:-
تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ280

(وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ)

و هذه الآية من آخر ما نزل من القرآن

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: " آخِرُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى الله} [البقرة: 281]

و جعلت خاتمة لهذه الأحكام و الأوامر و النواهى لأن فيها الوعد على الخير و الوعيد على فعل الشر

و أن من علم أنه راجع إلى الله :–فمجازيه على الصغير و الكبير و الجلى و الخفى

و أن الله لا يظلمه مثقال ذرة أوجب له الرغبة و الرهبة

*و بدون حلول العلم فى ذلك فى القلب لا سبيل إلى ذلك281

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ
وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ
وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا
أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ
فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا
فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ
ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ
فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ
وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ)

*هَذَا إِرْشَادٌ مِنْهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا تَعَامَلُوا بِمُعَامَلَاتٍ مُؤَجَّلَةٍ أَنْ يَكْتُبُوهَا لِيَكُونَ ذَلِكَ أَحْفَظَ لِمِقْدَارِهَا وَ مِيقَاتِهَا وَ أَضْبَطَ لِلشَّاهِدِ فِيهَا وَ قَدْ نَبَّهَ عَلَى هَذَا فِي آخِرِ الْآيَةِ حَيْثُ قَالَ:-

(ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ)

*السنن الكبرى للبيهقى11087 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ:-
أَشْهَدُ أَنَّ السَّلَفَ الْمَضْمُونَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَدْ أَحَلَّهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ وَ أَذِنَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ:-
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ} [البقرة: 282] "

*البخارى2239 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:-
قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ وَالنَّاسُ يُسْلِفُونَ
(من السلف وهو بيع على موصوف في الذمة ببدل يعطى عاجلا وسمي سلفا لتقديم رأس المال ويسمى أيضا سلما لأنه يشترط فيه تسليم رأس المال في مجلس العقد]
قال الشيخ العدوي:هو أن يدفع قيمة الشئ مقدما علي أن يستلم الشئ بعد زمن معين و لكن ينبغي أن يكون المبيع موصوفا وصفا كاملا فيكون معلوم الوزن و الكيل و كذا الصنف و كذا وقت التسليم) فِي الثَّمَرِ العَامَ وَ العَامَيْنِ أَوْ قَالَ:-
عَامَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً شَكَّ إِسْمَاعِيلُ فَقَالَ: «مَنْ سَلَّفَ فِي تَمْرٍ فَلْيُسْلِفْ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ وَ وَزْنٍ مَعْلُومٍ»

-هذه آية الدين و هي أطول آيات القرآن و قد اشتملت على أحكام عظيمة جليلة المنفعة و المقدار

أحدها:—أنه تجوز جميع أنواع المداينات من سلم و غيره لأن الله أخبر عن المداينة التي عليها المؤمنون إخبار مقرر لها ذاكرا أحكامها و ذلك يدل على الجواز

الثاني و الثالث:—

أنه لا بد للسلم من أجل و أنه لا بد أن يكون معينا معلوما فلا يصح حالا و لا إلى أجل مجهول

الرابع:–الأمر بكتابة جميع عقود المداينات إما وجوبا و إما استحبابا لشدة الحاجة إلى كتابتها

لأنها بدون الكتابة يدخلها من الغلط و النسيان و المنازعة و المشاجرة شر عظيم

الخامس:–أمر الكاتب أن يكتب

(فَٱكۡتُبُوهُۚ)أَمْرٌ مِنْهُ تَعَالَى بِالْكِتَابَةِ وَ الْحَالَةُ هَذِهِ لِلتَّوْثِقَةِ وَ الْحِفْظِ

*وَ قَالَ بعض من أهل العلم: كَانَ ذَلِكَ وَاجِبًا ثُمَّ نُسِخَ بِقَوْلِهِ(فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ)البقرة

و الدليل على ذلك أيضا الحديث الذي حكى عن شرع من قبلنا مقررا فى شرعنا و لم ينكر عدم الكتابة و الإشهاد.

*البخارى1498 -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺ:-

«أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِى إِسْرَائِيلَ بِأَنْ يُسْلِفَهُ(يقرضه)أَلْفَ دِينَارٍ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا(سفينة يركب عليها)فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا(قورها و جوفها)فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ فَرَمَى بِهَا فِي البَحْرِ فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِى كَانَ أَسْلَفَهُ فَإِذَا بِالخَشَبَةِ فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا»

فَذَكَرَ الحَدِيثَ(أى بأطول مما هنا كما تحصل عليه إذا نظرت فى مواضعه) فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ

السادس:–أن يكون عدلا في نفسه لأجل اعتبار كتابته لأن الفاسق لا يعتبر قوله و لا كتابته

السابع:–أنه يجب عليه العدل بينهمافلا يميل لأحدهما لقرابة أو صداقة أو غير ذلك

الثامن:–أن يكون الكاتب عارفا بكتابة الوثائق و ما يلزم فيها كل واحد منهما

و ما يحصل به التوثق لأنه لا سبيل إلى العدل إلا بذلك

و هذا مأخوذ من قوله: (وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ)من غير زيادة و لا نقصان

التاسع:– أنه إذا وجدت وثيقة بخط المعروف بالعدالة المذكورة يعمل بها

و لو كان هو و الشهود قد ماتوا

العاشر:–(وَلَا يَأۡبَ)يمتنع(كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ)بين المتداينين(كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ)مَنْ منَّ الله عليه بتعليمه الكتابة

فكما أحسن الله إليه بتعليمه فليحسن إلى عباد الله المحتاجين إلى كتابته و لا يمتنع من الكتابة لهم

*البخارى 2518 عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺقَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺأَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟

قَالَ:«إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَ جِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ» قُلْتُ: فَأَيُّ الرِّقَابِ(جمع رقبة وهى العبد المملوك ذكرا أم أنثى)أَفْضَلُ(أكثر ثوابا فى العتق)؟

قَالَ:«أَعْلاَهَا ثَمَنًا وَ أَنْفَسُهَا(التى يرغبها مالكوها أكثر من غيرها)عِنْدَ أَهْلِهَا»

قُلْتُ:فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ:«تُعِينُ ضَايِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ(تساعد من لا يحسن الصناعة)»قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟

قَالَ:-«تَدَعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ»

(وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِى عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ)

الحادى عشر:– أمر الكاتب أن لا يكتب إلا ما أملاه من عليه الحق-الدين

الثانى عشر: أن الذى يملى من المتعاقدين من عليه الدين

(وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا)

الثالث عشر:–أمره أن يبين جميع الحق الذي عليه و لا يبخس منه شيئا

الرابع عشر:–أن إقرار الإنسان على نفسه مقبول لأن الله أمر من عليه الحق أن يمل على الكاتب فإذا كتب إقراره بذلك ثبت موجبه ومضمونه و هو ما أقر به على نفسه و لو ادعى بعد ذلك غلطا أو سهوا

الخامس عشر: أن من عليه حقا من الحقوق التى البينة على مقدارها و صفتها من كثرة و قلة و تعجيل و تأجيلأن قوله هو المقبول دون قول من له الحق لأنه تعالى لم ينهه عن بخس الحق الذي عليه إلا أن قوله مقبول على ما يقوله من مقدار الحق و صفته

السادس عشر: أنه يحرم على من عليه حق من الحقوق أن يبخس و ينقص شيئا من مقداره أو طيبه و حسنه أو أجله أو غير ذلك من توابعه و لواحقه

(فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ)

السابع عشر: أن من لا يقدر على إملاء الحق لصغره أو سفهه أو خرسه أو نحو ذلك فإنه ينوب وليه منابه في الإملاء و الإقرار

الثامن عشر: أنه يلزم الولي من العدل ما يلزم من عليه الحق من العدل و عدم البخس لقوله (بالعدل)

التاسع عشر: أنه يشترط عدالة الولى لأن الإملاء بالعدل المذكور لا يكون من فاسق

العشرون: ثبوت الـــــولاية فى الأموال

الحادى والعشرون:–أن الحق يكون على الصغير و السفيه و المجنون و الضعيف لا على وليهم

الثاني والعشرون: أن إقرار الصغير و السفيه و المجنون و المعتوه و نحوهم و تصرفهم غير صحيح لأن الله جعل الإملاء لوليهم و لم يجعل لهم منه شيئا لطفا بهم و رحمة خوفا من تلاف أموالهم

الثالث و العشرون: صحة تصرف الولى فى مال من ذُكر

الرابع و العشرون: فيه مشروعية كون الإنسان يتعلم الأمور التي يتوثق بها المتداينون كل واحد من صاحبه لأن المقصود من ذلك التوثق و العدل و ما لا يتم المشروع إلا به فهو مشروع

الخامس و العشرون:–أن تعلم الكتابة مشروع بل هو فرض كفاية لأن الله أمر بكتابة الديون وغيرها و لا يحصل ذلك إلا بالتعلم

السادس و العشرون: أنه مأمور بالإشهاد على العقود

و ذلك على وجه الندب لأن المقصود من ذلك الإرشاد إلى ما يحفظ الحقوق فهو عائد لمصلحة المكلفين نعم إن كان المتصرف ولي يتيم أو وقف و نحو ذلك مما يجب حفظه تعين أن يكون الإشهاد الذي به يحفظ الحق واجبا

(وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ)

*مسلم 79-عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ:
«يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»
فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ؟
قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ و تَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ(هو في الأصل المعاشر مطلقا والمراد هنا الزوج)
وَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِى لُبٍّ(العقل و المراد كمال العقل)مِنْكُنَّ»
قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ وَ مَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَ الدِّينِ؟
قَـــــال:أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ: فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ
وَ تَمْكُثُ اللَّيَالِيَ مَا تُصَلّى وَ تُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ "

السابع و العشرون: أن نصاب الشهادة في الأموال و نحوها رجلان أو رجل و امرأتان و دلت السنة أيضا أنه يقبل الشاهد مع يمين المدعي

الثامن و العشرون: أن شهادة الصبيان غير مقبولة لمفهوم لفظ الرجل

التاسع و العشرون: أن شهادة النساء منفردات في الأموال و نحوها لا تقبل لأن الله لم يقبلهن إلا مع الرجل و قد يقال إن الله أقام المرأتين مقام رجل للحكمة التي ذكرها و هي موجودة سواء كن مع رجل أو منفردات والله أعلم.

الثلاثون: أن شهادة العبد البالغ مقبولة كشهادة الحر لعموم قوله:-

(وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ)و العبد البالغ من رجالنا

الحادى و الثلاثون: أن شهادة الكفار ذكورا كانوا أو نساء غير مقبولة لأنهم ليسوا منا و لأن مبنى الشهادة على العدالة و هو غير عدل

الثانى و الثلاثون:فيه فضيلة الرجل على المرأة و أن الواحد في مقابلة المرأتين لقوة حفظه و نقص حفظها

الثالث و الثلاثون:أن من نسى شهادته ثم ذكرها فذكر فشهادته مقبولة لقوله:-

(فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ)

الرابع و الثلاثون:-يؤخذ من المعنى أن الشاهد إذا خاف نسيان شهادته في الحقوق الواجبة وجب عليه كتابتها لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب

و الخامس و الثلاثون:-أنه يجب على الشاهد إذا دعى للشهادة و هو غير معذور لا يجوز له أن يأبى لقوله:(وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ)

وَ قَالَ غير وَاحِدٍ: إِذَا دُعِيتَ لِتَشْهَدَ فَأَنْتِ بِالْخِيَارِ وَ إِذَا شَهِدْتَ فَدُعِيتَ فَأَجِبْ.
*وَ قَدْ ثَبَتَ فِي مسلم 1719 عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:-

«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ الَّذِى يَأْتِى بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا»

الشهداء جمع شهيد بمعنى شاهد قال الإمام النووي في المراد بهذا الحديث تأويلان أصحهما و أشهرهما تأويل أصحاب الشافعي:-

1-أنه محمول على من عنده شهادة لأنسان بحق ولا يعلم ذلك الإنسان أنه شاهد فيأتى إليه فيخبره بأنه شاهد له

2-و الثانى أنه محمول على شهادة الحسبة و ذلك فى غير حقوق الآدميين المختصة بهم

3-وحكى تأويل ثالث أنه محمول على المجاز و المبالغة فى أداء الشهادة بعد طلبها لا قبله كما يقال الجواد يعطى قبل السؤال أى يعطى سريعا عقب السؤال من غير توقف]

*مسلم -2535قال النبىﷺثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَ لَا يُسْتَشْهَدُونَ وَ يَخُونُونَ وَ لَا يُؤْتَمَنُونَ وَ يَنْذِرُونَ وَ لَا يُوفُونَ وَ يَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»*قال بن كثير : و هؤلاء شهود الزور

السادس و الثلاثون:–

أن من لم يتصف بصفة الشهداء المقبولة شهادتهم لم يجب عليه الإجابة لعدم الفائدة بها و لأنه ليس من الشهداء

(وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ)

السابع و الثلاثون:–النهى عن السآمة و الضجر من كتابة الديون كلها من صغير و كبير و صفة الأجل و جميع ما احتوى عليه العقد من الشروط و القيود

الثامن و الثلاثون:–بيان الحكمة فى مشروعية الكتابة و الإشهاد في العقود

و أنه (ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ)

فإنها متضمنة للعدل الذي به قوام العباد و البلاد و الشهادة المقترنة بالكتابة تكون أقوم و أكمل و أبعد من الشك و الريب و التنازع و التشاجر

التاسع و الثلاثون:–يؤخذ من ذلك أن من اشتبه و شك فى شهادته لم يجز له الإقدام عليها بل لا بد من اليقين

الأربـــــعون:(إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَا)

فيه الرخصة فى ترك الكتابة إذا كانت التجارة حاضرا بحاضر لعدم شدة الحاجة إلى الكتابة

الحادى و الأربعون:أنه و إن رخص في ترك الكتابة فى التجارة الحاضرة فإنه يشرع الإشهاد لقوله:–

(وَأَشۡهِدُوٓاْ)عَلَى حَقِّكُمْ(إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ)إِذَا كَانَ فِيهِ أَجَلٌ أَوْ لَمْ يَكُنْ فَأَشْهَدُوا عَلَى حَقِّكُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

*قَالَ آخرون: هَذَا الْأَمْرُ مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ: {فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ}

وَ هَذَا الْأَمْرُ مَحْمُولٌ عِنْدَ الْجُمْهُورِ عَلَى الْإِرْشَادِ وَ النَّدْبِ لَا عَلَى الْوُجُوبِ.

وَ الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ

*وَ قَدْ رَوَاهُ فى سنن أبي داود 3607 - عَنْ عُمَارَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ أَنَّ عَمَّهُ حَدَّثَهُ وَ هُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّﷺ

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺابْتَاعَ فَرَسًا مِنْ أَعْرَابِيٍّ فَاسْتَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺلِيَقْضِيَهُ ثَمَنَ فَرَسِهِ

فَأَسْرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺالْمَشْيَ وَ أَبْطَأَ الْأَعْرَابِيُّ فَطَفِقَ رِجَالٌ يَعْتَرِضُونَ الْأَعْرَابِيَّ فَيُسَاوِمُونَهُ بِالْفَرَسِ

و لَا يَشْعُرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺابْتَاعَهُ فَنَادَى الْأَعْرَابِيُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ مُبْتَاعًا هَذَا الْفَرَسَ وَ إِلَّا بِعْتُهُ؟

فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺحِينَ سَمِعَ نِدَاءَ الْأَعْرَابِيِّ فَقَالَ: «أَوْ لَيْسَ قَدِ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ؟»

فَقَالَ الْأَعْرَابِيُ: لَا وَ اللَّهِ مَا بِعْتُكَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلَى قَد ابْتَعْتُهُ مِنْكَ»
فَطَفِقَ الْأَعْرَابِيُّ يَقُولُ هَلُمَّ شَهِيدًا فَقَالَ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ: أَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَايَعْتَهُ
فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺعَلَى خُزَيْمَةَ فَقَالَ: «بِمَ تَشْهَدُ؟» فَقَالَ: بِتَصْدِيقِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺشَهَادَةَ خُزَيْمَةَ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ

الثاني و الأربعون:–النهى عن مضارة الكاتب بأن يدعى وقت اشتغال و حصول مشقة عليه

الثالث و الأربعون:–

النهي عن مضارة الشهيد أيضا بأن يدعى إلى تحمل الشهادة أو أدائها فى مرض أو شغل يشق عليه أو غير ذلك

هذا على جعل قوله:(وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ)مبنيا للمجهول

و أما على جعلها مبنيا للفاعل ففيه نهي الشاهد و الكاتب أن يضارا صاحب الحق بالامتناع أو طلب أجرة شاقة و نحو ذلك و هذان هما:–

الرابع و الأربعون و الخامس و الأربعون و السادس و الأربعون: أن ارتكاب هذه المحرمات من خصال الفسق

لقوله:(وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ)

السابع و الأربعون:– أن الأوصاف كالفسق و الإيمان و النفاق و العداوة و الولاية و نحو ذلك تتجزأ فى الإنسان فتكون فيه مادة فسق و غيرها و كذلك مادة إيمان و كفر لقوله: (فإنه فسوق بكم)

و لم يقل فأنتم فاسقون أو فُسّاق.

الثامن و الأربعون:– و حقه أن يتقدم على ما هنا لتقدم موضعه–اشتراط العدالة في الشاهد لقوله:–

(مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ)

التاسع و الأربعون:–

أن العدالة يشترط فيها العرف في كل مكان و زمان فكل من كان مرضيا معتبرا عند الناس قبلت شهادته

الخمسون: يؤخذ منها عدم قبول شهادة المجهول حتى يزكى

فهذه الأحكام مما يستنبط من هذه الآية الكريمة على حسب الحال الحاضرة و الفهم القاصر و لله فى كلامه حكم وأسرار يخص بها من يشاء من عباده.

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ)خَافُوهُ وَ رَاقِبُوهُ وَ اتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَ اتْرُكُوا زَجْرَهُ

(وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ)

كقوله(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ)الأنفال: ٢٩

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ)الحديد: ٢٨

(وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ)هُوَ عَالِمٌ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ وَ مَصَالِحِهَا وَ عَوَاقِبِهَا فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ بل علمه محيط بجميع الكائنات282

الاعجاز العلمى فى (أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى) الرابط

*ففى دراسة حديثة قام بها علماء فى (سيدنى ـ أستراليا) و نشرت نتائجها على شبكة CNN و شبكة BBC الإخبارية بعنوان الدراسة: Pregnancy does cause memory loss, study says
(الحمل يجعل الذاكرة أقل الدراسة تقول ذلك).
أثبتت الدراسة أن الحمل يتسبب بضعف ذاكرة النساء و أن هذه الحالة تستمر لفترة ما بعد الولادة أحياناً حيث يتسبب الحمل فى تناقص طفيف فى عدد خلايا الذاكرة لدماغ الأم الحامل.
و قالت جوليا هنرى و هى إحدى العاملات على البحث من جامعة نيوساوث ويلز بسيدنى لشبكة CNN:-
"ما وجدناه هو أن المجهود الذهنى المرتبط بتذكر تفاصيل جديدة أو أداء مهام متعددة المراحل يصاب باضطراب."
و أضافت: "قد تعجز المرأة الحامل مثلاً عن تذكّر رقم جديد لكنها ستستعيد بسهولة الأرقام القديمة التى كانت تطلبها على الدوام."
و قالت هنرى إنها قامت مساعدة الدكتور بيتر ريندل بوضع هذه الدراسة بالاعتماد على تحليل 12 بحث شمل مسحاً لقدرات النساء الذهنية قبل الولادة وبعدها.
و لفتت إلى أن النتائج تشير إلى احتمال استمرار حالة الاضطراب هذه بعد الولادة لعام كامل أحياناً دون أن تؤكد بأن الوضع يتحسن بعد تلك الفترة بسبب الحاجة إلى المزيد من الأبحاث.
غير أن الدراسة لم تحدد أسباب هذه الظاهرة نظراً للحاجة إلى إجراء المزيد من الفحوصات المخبرية المعمقة و إن كانت قد استعرضت مجموعة من السيناريوهات المحتملة و فى مقدمتها تبدل هرمونات الجسد و التغيّر السريع فى نمط العيش.
الخلاصة رأى العلم : -
المرأة الحامل تصاب ذاكرتها بالضعف و الاضطراب أثناء الحمل و ربما تعانى من ضعف الذاكرة لمدة عام كامل أحياناً بعد الولادة و ربما أكثر بسبب تناقص فى عدد خلايا الذاكرة و للأسباب غير معروفة لحد الآن.

۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

(وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ)إن كنتم مسافرين(وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا)يكتب بينكم و يحصل به التوثق

(فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ)يقبضها صاحب الحق و تكون وثيقة عنده حتى يأتيه حقه

*و دل هذا على أن الرهن غير المقبوضة لا يحصل منها التوثق

*و دل أيضا على أن الراهن و المرتهن لو اختلفا في قدر ما رُهِنَت به كان القول قول المرتهن

و وجه ذلك أن الله جعل الرهن عوضا عن الكتابة فى توثق صاحب الحق

فلولا أن قول المرتهن مقبول فى قدر الذي رهنت به لم يحصل المعنى المقصود و لما كان المقصود بالرهن التوثق جاز حضرا و سفرا

*و إنما نص الله على السفر لأنه في مظنة الحاجة إليه لعدم الكاتب فيه هذا كله إذا كان صاحب الحق يحب أن يتوثق لحقه

*البخارى 2508 عَنْ أَنَسٍ ﷺقَالَ:وَ لَقَدْ رَهَنَ النَّبِيُّ ﷺدِرْعَهُ بِشَعِيرٍ وَ مَشَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺبِخُبْزِ شَعِيرٍ وَ إِهَالَةٍ سَنِخَةٍ وَ لَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ:«مَا أَصْبَحَ لِآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا صَاعٌ وَ لاَ أَمْسَى وَ إِنَّهُمْ لَتِسْعَةُ أَبْيَاتٍ»

*قال بن كثير:رهنها النبي ﷺ قوتا لاهله عند يهودى

(فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ)فما كان صاحب الحق آمنا من غريمه

و أحب أن يعامله من دون رهن فعلى من عليه الحق أن يؤدي إليه كاملا غير ظالم له و لا باخس حقه

*عن أبي سعيد الخدرى: هذه الآية نسخت ما قبلها

(وَلۡيَتَّقِ)أى المؤْتَمَن(ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ)في أداء الحق و يجازي من أحسن به الظن بالإحسان

(وَلَا تَكۡتُمُواْ) تُخفوا و تُغْلُوا (ٱلشَّهَٰدَةَ)

*قال بن عباس :شهادة الزور من أكبر الكبائر و كتمانها كذلك

–لأن الحق مبنى عليها لا يثبت بدونها

(وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ)فـاجر(قَلۡبُهُۥۗ)–فكتمها من أعظم الذنوب

لأنه يترك ما وجب عليه من الخبر الصدق و يخبر بضده و هو الكذب و يترتب على ذلك فوات حق من له الحق كقوله(وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ) المائدة: ١٠٦

و لهذا قال تعالى: (وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ)

و قد اشتملت هذه الأحكام الحسنة التي أرشد الله عباده إليها على حِكَمٍ عظيمة و مصالح عميمة دلت على:–

* أن الخلق لو اهتدوا بإرشاد الله لصلحت دنياهم مع صلاح دينهم لاشتمالها على العدل و المصلحة و حفظ الحقوق و قطع المشاجرات و المنازعات و انتظام أمر المعاش

فلله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه لا نحصي ثناء عليه 283

(لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ)هذا إخبار من الله أنه له ما فى السماوات و ما في الأرض الجميع خلقهم و رزقهم و دبرهم لمصالحهم الدينية و الدنيوية فكانوا ملكا له و عبيدا لا يملكون لأنفسهم ضرا و لا نفعا و لا موتا و لا حياة و لا نشورا و هو ربهم و مالكهم الذي يتصرف فيهم بحكمته و عدله وإحسانه

التأكيد على أن العبادة لله وحده284-286

(وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ)

قد أمرهم و نهاهم و سيحاسبهم على ما أسروه و أعلنوه

كقوله(قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ) آل عمران: ٢٩

*كقوله(فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى) طه: ٧

*مسلم 125 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ

{لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: 284]

قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ

فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ الصَّلَاةَ وَ الصِّيَامَ وَ الْجِهَادَ وَ الصَّدَقَةَ

وَ قَدِ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَ لَا نُطِيقُهَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا؟

بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "
قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ
فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا:{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة: 285]
فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:
{لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}[البقرة: 286]
قَالَ: نَعَمْ "{رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا} [البقرة: 286] "
قَالَ: نَعَمْ " {رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} [البقرة: 286] "
قَالَ: نَعَمْ {وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 286] "قَالَ: نَعَمْ "
*مسلم 126 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺقَالَ:لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:{وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ}[البقرة]
قَالَ: دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:قُولُوا:-"سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ سَلَّمْنَا "
قَالَ:-فَأَلْقَى اللهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى:-
{لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}[البقرة: 286] "
قَالَ:-قَدْ فَعَلْتُ"{رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا} [البقرة: 286] "
قَالَ:-قَدْ فَعَلْتُ"{وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا} [البقرة: 286]" قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ
*البخارى 4546 عَنْ مَرْوَانَ الْأَصْفَرِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
قَالَ: أَحْسِبُهُ ابْنَ عُمَرَ: {إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ} [البقرة: 286]قَالَ:«نَسَخَتْهَا الآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا»
*البخارى2528 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-
«إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ(عفا و لم يؤاخذ)لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا(ما يخطر بالبال من شر)مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ»
*البخارى7501 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ:-أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:يَقُولُ اللَّهُ:-
إِذَا أَرَادَ(قصد و عزم) عَبْدِى أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلاَ تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا
وَ إِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِى(امتثالا لحكمى وخوفا منى ورغبة فى ثوابى)فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً
وَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا (أى الحسنة) فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً
فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ
*مسلم 129 عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً
فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا
وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا "
وَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً
وَ هُوَ أَبْصَرُ بِهِ فَقَالَ: ارْقُبُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا
وَ إِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ "
وَ قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ:
«إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ

وَ كُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ»

*مسلم 132 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺفَسَأَلُوهُ:-

إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ (يجد أحدنا التكلم به عظيما لاستحالته في حقه سبحانه وتعالى)

قَالَ:-«وَ قَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟»

قَالُوا:-نَعَمْ قَالَ: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»(معناه سبب الوسوسة محض الإيمان أو الوسوسة علامة محض الإيمان)

*مسلم133 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ:-سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺعَنِ الْوَسْوَسَةِ قَالَ:«تِلْكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ»

*صفة الصفوة :عن البراء بن سليم قال :سمعت نافعا يقول :ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من آخر سورة البقرة إلا بكى

(وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ)ثم يقول ان هذا لإحصاء شديد

(فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ)و هو لمن أتى بأسباب المغفرة و يعذب من يشاء بذنبه الذى لم يحصل له ما يكفره

(وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ)لا يعجزه شيء بل كل الخلق طوع قهره و مشيئته و تقديره و جزا284

إحصاءٌ شديد !

عن البراء بن سليم قال: سمعت نافعًا يقول: ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من آخر سورة البقرة إلا بكى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ (٢)

ثم يقول: إن هذا لإحصاء شديد (٣) البقرة ٢٨٤ صفة الصفوة

(ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ)

*البخارى5009 -عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-

«مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»

*مسلم 806عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ:-

بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺسَمِعَ نَقِيضًا(صوتا كصوت الباب إذا فتح)مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ

فَقَالَ:-هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ:-

هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَ قَالَ:-أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ:

فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَ خَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ

يخبر تعالى عن إيمان الرسول والمؤمنين معه و انقيادهم و طاعتهم و سؤالهم مع ذلك المغفرة

(كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ)

فأخبر أنهم آمنوا بالله و ملائكته و كتبه و رسله و هذا يتضمن الإيمان بجميع ما أخبر الله به عن نفسه

و أخبرت به عنه رسله من صفات كماله و نعوت جلاله على وجه الإجمال و التفصيل

و تنزيهه عن التمثيل و التعطيل و عن جميع صفات النقص

و يتضمن الإيمان بالملائكة الذين نصت عليهم الشرائع جملة و تفصيلا

و على الإيمان بجميع الرسل و الكتب أى:بكل ما أخبرت به الرسل و تضمنته الكتب من :-

[الأخبـــــار و الأوامــــر و النـــــواهى]

و أنهم لا يفرقون بين أحد من رسله بل يؤمنون بجميعهم لأنهم وسائط بين الله و بين عباده فالكفر ببعضهم كفر بجميعهم بل كفر بالله

(وَقَالُواْ سَمِعۡنَا)ما أمرتنا به و نهيتنا

(وَأَطَعۡنَاۖ)لك فى ذلك و لم يكونوا ممن قالوا سمعنا و عصينا

*و لما كان العبد لا بد أن يحصل منه تقصير في حقوق الله تعالى و هو محتاج إلى مغفرته على الدوام

قالوا (غُفۡرَانَكَ)نسألك مغفرة لما صدر منا من التقصير و الذنوب و محو ما اتصفنا به من العيوب

(وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ)المرجع لجميع الخلائق فتجزيهم بما عملوا من خير و شر285

*لما نزل قوله تعالى (وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ)

شق ذلك على المسلمين لما توهموا أن ما يقع فى القلب من الأمور اللازمة و العارضة المستقرة و غيرها مؤاخذون به فأخبرهم بهذه الآية أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها أى:أمرا تسعه طاقتها و لا يكلفها و يشق عليها

كما قال تعالى (وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ) الحج: ٧٨

–فأصل الأوامر و النواهي ليست من الأمور التى تشق على النفوس بـــــل هـــــى:–

1– غذاء للأرواح

2–و دواء للأبدان

3–و حمية عن الضرر

–فالله تعالى أمر العباد بما أمرهم به رحمة و إحسانا

–و مع هذا إذا حصل بعض الأعذار التي هي مظنة المشقة :–حصل التخفيف و التسهيل:–

1–إما بإسقاطه عن المكلف

2–أو إسقاط بعضه كما فى التخفيف عن المريض و المسافر و غيرهم

(لَهَا مَا كَسَبَتۡ)ثم أخبر تعالى أن لكل نفس ما كسبت من الخير

(وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ)من الشر.فلا تزر وازرة وزر أخرى و لا تذهب حسنات العبد لغيره

*و فى الإتيان بـ « كسب »فى الخير الدال على أن عمل الخير يحصل للإنسان بأدنى سعي منه بل بمجرد نية القلب

*و أتى بـ« اكتسب »فى عمل الشر للدلالة على أن عمل الشر لا يكتب على الإنسان حتى يعمله و يحصل سعيه

*و لما أخبر تعالى عن إيمان الرسول و المؤمنين معه و أن كل عامل سيجازى بعمله و كان الإنسان عرضة للتقصير و الخطأ و النسيان

*و أخبر أنه لا يكلفنا إلا ما نطيق و تسعه قوتنا أخبر عن دعاء المؤمنين بذلك

و قد أخبر النبى ﷺأن الله قال: قد فعلت. إجابة لهذا الدعاء فقال:–(رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا)

و الفرق بينهما:

*أن النسيان:–ذهول القلب عن ما أمر به فيتركه نسيانا

*و الخطأ:– أن يقصد شيئا يجوز له قصده ثم يقع فعله على ما لا يجوز له فعله –

فهذان قد عفا الله عن هذه الأمة ما يقع بهما رحمة بهم و إحسانا

–فعلى هذا من صلى في ثوب مغصوب أو نجس أو قد نسى نجاسة على بدنه

أو تكلم في الصلاة ناسيا أو فعل مفطـــــرا ناسيا

أو فعل محظورا من محظورات الإحرام التي ليس فيها إتلاف ناسيا[فإنه مــــعفو عنه]

و كذلك لا يحنث من فعل المحلوف عليه ناسيا و كذلك لو أخطأ فأتلف نفسا أو مالا فليس عليه إثم

و إنما الضمان مرتب على مجرد الإتلاف

و كذلك المواضع التى تجب فيها التسمية إذا تركها الإنسان ناسيا لم يضر.

(رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا)تكاليف مشقة

(كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا)

و قد فعل تعالى فإن الله خفف عن هذه الأمة فى الأوامر من:–

الطهارات و أحوال العبادات ما لم يخففه على غيرها

(رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ)و قد فعل و له الحمد

(وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا)فالعفو و المغفرة يحصل بهما دفع المكاره و الشرور

(وَٱرْحَمْنَآ)و الرحمة يحصل بها صلاح الأمور

(أَنتَ مَوْلَىٰنَا)ربنا و مليكنا و إلهنا الذي لم تزل ولايتك إيانا منذ أوجدتنا و أنشأتنا

فنعمك دارة علينا متصلة عدد الأوقات

*ثم أنعمت علينا بالنعمة العظيمة و المنحة الجسيمة و هى نعمة الإسلام التى جميع النعم تبع لها

(فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ)فنسألك يا ربنا و مولانا تمام نعمتك بأن تنصرنا على القوم الكافرين

الذين كفروا بك و برسلك و قاوموا أهل دينك و نبذوا أمرك

*فانصرنا عليهم بالحجة و البيان و السيف و السنان بأن:-

1-تمـــــكن لنا في الأرض

2-و تخـــــذلهم

3-و تــــــرزقنا الإيمان و الأعمال التى يحصل بها النصر286

و الحمد لله رب العالمين. تم تفسير سورة البقرة بعون الله و توفيقه و صلى الله على محمد و سلم

3-سورة آل عمران-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾

نزل صدرها إلى بضع و ثمانين آية فى مخاصمة النصارى و إبطال مذهبهم و دعوتهم إلى الدخول فى الدين الحق دين الإسلام كما نزل صدر البقرة في محاجة اليهود كما تقدم

الثبات فكريا فى مواجهة الأفكار الخاجية 1-120

(الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)افتتحها تبارك و تعالى بالإخبار بألوهيته و أنه الإله الذي لا إله إلا هو الذى لا ينبغى التأله و التعبد إلا لوجهه فكل معبود سواه فهو باطل و الله هو الإله الحق المتصف بصفات الألوهية التي مرجعها إلى الحياة و القيومية

قدرة الله و توحيده 1-6

(ٱلۡحَيُّ)من له الحياة العظيمة الكاملة المستلزمة لجميع الصفات التى لا تتم و لا تكمل الحياة إلا بها كالسمع و البصر و القدرة و القوة و العظمة و البقاء و الدوام و العز الذي لا يرام

(ٱلۡقَيُّومُ)الذى قام بنفسه فاستغنى عن جميع مخلوقاته و قام بغيره فافتقرت إليه جميع مخلوقاته فى الإيجاد و الإعداد و الإمداد

*فهو الذى قام بتدبير الخلائق و تصريفهم تدبير:– للأجسام و للقلوب و الأرواح 2

(نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ)و من قيامه تعالى بعباده و رحمته بهم أن نزل على رسوله محمد ﷺ الكتاب الذى هو أَجَلُ الكتب و أعظمها المشتمل على الحق فى :–إخـــــباره و أوامـــــره و نـــــواهيه

فما أخبر به صدق و ما حكم به فهو العدل و أنزله بالحق ليقوم الخلق بعبادة ربهم و يتعلموا كتابه

(مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ)من الكتب السابقة

فهو المزكى لها فما شهد له فهو المقبول و ما رده فهو المردود

و هو المطابق لها فى جميع المطالب التى اتفق عليها المرسلون و هى شاهدة له بالصدق

فأهل الكتاب لا يمكنهم التصديق بكتبهم إن لم يؤمنوا به فإن كُفْرُهم به ينقض إيمانهم بكتبهم

ثم قال تعالى (وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ)على موسى

(وَٱلۡإِنجِيلَ)على عيسى 3

(مِن قَبۡلُ)إنزال القرآن

(هُدٗى لِّلنَّاسِ)الظاهر أن هذا راجع لكل ما تقدم

أى: أنزل الله القرآن و التوراة و الإنجيل هدى للناس من الضلال فمن قبل هدى الله فهو المهتدى

و من لم يقبل ذلك بقى على ضلاله

(وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ)الحجج و البينات و البراهين القاطعات الدالة على جميع المقاصد و المطالب

–و كذلك فصل و فسر ما يحتاج إليه الخلق حتى بقيت الأحكام جلية ظاهرة

–فلم يبق لأحد عذر و لا حجة لمن لم يؤمن به و بآياته

فلهذا قال(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ)بعد ما بينها و وضحها و أزاح العلل

(لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ)لا يقدر قدره و لا يدرك وصفه

(وَٱللَّهُ عَزِيزٞ)قوى لا يعجزه شيء

(ذُو ٱنتِقَامٍ)ممن عصاه 4

(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ)

و هذا فيه تقرير إحاطة علمه بالمعلومات كلها جليها و خفيها ظاهرها و باطنها

–و من جملة ذلك الأجنة في البطون التى لا يدركها بصر المخلوقين و لا ينالها علمهم و هو تعالى يدبرها

بألطف تدبير و يقدرها بكل تقدير 5

فلهذا قال(هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ)من كامل الخلق و ناقصه و حسن و قبيح و ذكر و أنثى

(لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ)

–تضمنت هذه الآيـــــات:–

1–تقرير إلـــــهية الله و تعينها

2–و إبــــــطال إلهية ما سواه

3–و فى ضمن ذلك رد على النصارى الذين يزعمون إلهية عيسى ابن مريم عليه السلام

4-و تضمنت إثبات حياته الكاملة و قيوميته التامة(المتضمنتين جميع الصفات المقدسة كما تقدم)

5-و إثبات الشرائع الكبار و أنها رحمة و هداية للناس

انقسام الناس فى القرآن و التجاء المؤمنين 7-9

6-و تقسيم الناس إلى مهتـــــد و غيره و عقوبة من لم يهتد بها

7-و تقرير سعة علم البارى و نفوذ مشيئته و حكمته 6

(هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ)القرآن العظيم كله محكم لقوله(الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)هود: ١

فهو مشتمل على غاية الإتقان و الإحكام و العدل و الإحسان

(أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ) المائدة: ٥٠

و كله متشابه فـــى :-

الحسن و البلاغة و تصــــديق بعضه لبعضه و مطــــابقته لفظا و معنى

و أما الإحكام و التشابه المذكور فى هذه الآية فإن القرآن كما ذكره الله

(مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ)واضحات الدلالة ليس فيها شبهة و لا إشكال

(هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ)أصله الذى يرجع إليه كل متشابه و هى معظمه و أكثره

(و)منه آيات(وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ)

1-أي: يلتبس معناها على كثير من الأذهان:- لكون دلالتها مجملة

2-أو يتبادر إلى بعض الأفهام غير المراد منها

*فالحاصل أن منها آيات بينة واضحة لكل أحد و هى الأكثر التى يرجع إليها

*و منه آيات تشكل على بعض الناس فالواجب في هذا أن يُرد المتشابه إلى المحكم و الخفى إلى الجلى

فبهذه الطريق يصدق بعضه بعضا و لا يحصل فيه مناقضة و لا معارضة

و لكن الناس انقسموا إلى فـــــرقتين :-

1-(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ)ميل عن الاستقامة بأن:-

1-فسدت مقاصدهم

2-و صار قصدهم الغى و الضلال

3-و انحرفت قلوبهم عن طريق الهدى و الرشاد

(فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ)إِنَّمَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ بِالْمُتَشَابِهِ الَّذِى يُمْكِنُهُمْ أَنْ يُحَرِّفُوهُ إِلَى مَقَاصِدِهِمُ الْفَاسِدَةِ وَ يُنْزِلُوهُ عَلَيْهَا لِاحْتِمَالِ لَفْظِهِ لِمَا يَصْرِفُونَهُ

*فَأَمَّا الْمُحْكَمُ فَلَا نَصِيبَ لَهُمْ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ دَامِغٌ لَهُمْ وَ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ وَ لِهَذَا قَالَ:-{ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ} أَيِ:- الْإِضْلَالِ لِأَتْبَاعِهِمْ إِيهَامًا لَهُمْ أَنَّهُمْ يَحْتَجُّونَ عَلَى بِدْعَتِهِمْ بِالْقُرْآنِ

وَ هَذَا حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ كَمَا لَوِ احْتَجَّ النَّصَارَى بِأَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ نَطَقَ بِأَنَّ عِيسَى هُوَ رُوحُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ

وَ تَرَكُوا الِاحْتِجَاجَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى{إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ}[الزُّخْرُف: 59]وَ بِقَوْلِهِ:-

{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[آلِ عِمْرَانَ: 59]

وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْمُحْكَمَةِ الْمُصَرِّحَةِ بِأَنَّهُ خَلْقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ وَ عَبْدٌ وَ رَسُولٌ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ.

أى:–يتركون المحكم الواضح و يذهبون إلى المتشابه و يعكسون الأمر فيحملون المحكم على المتشابه

(وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ)

*البخارى 4547 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: تَلاَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺهَذِهِ الآيَةَ:-

(هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ)

قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-«فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»

–لمن يدعونهم لقولهم فإن المتشابه تحصل به الفتنة بسبب الاشتباه الواقع فيه

*و إلا فالمحكم الصريح ليس محلا للفتنة لوضوح الحق فيه لمن قصده اتباعه

و قوله (وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ)

*للمفسرين في الوقوف على(الله)من قوله(وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ)قـــــولان :–

جمهورهم يقفون عندها و بعضهم يعطف عليها (وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ)و ذلك كله محتمل

1–فإن التأويل إن أريد به علم حقيقة الشيء و ما يؤول اليه و كنهه

*كقوله (وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا) يوسف: ١٠٠ (هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ) الأعراف: ٥٣

*حَقِيقَةُ مَا أُخْبِرُوا بِهِ مِنْ أَمْرِ الْمَعَادِ فإن أريد بِالتَّأْوِيلِ هَذَا فَالْوَقْفُ عَلَى الْجَلَالَةِ لِأَنَّ حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَ كُنْهَهَا لَا يَعْلَمُهُ عَلَى الْجَلِيَّةِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَ يَكُونُ قَوْلُهُ: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} مُبْتَدَأً وَ {يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ} خَبَرَهُ.

كان الصواب الوقوف على(إلا الله)لأن المتشابه الذى استأثر الله بعلم كنهه وحقيقته نحو حقائق صفات الله

و كيفيتها و حقائق أوصاف ما يكون فى اليوم الآخر ونحو ذلك فهذه لا يعلمها إلا الله

و لا يجوز التعرض للوقوف عليها لأنه تعرض لما لا يمكن معرفته

كما سئل الإمام مالك رحمه الله عن قوله [الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] فقال السائل: كيف استوى؟

فقـــال مالـــــك:–

الاستواء معلــــوم و الكيف مجــــهول و الإيمان به واجـــــب و السؤال عنه بـــــدعة

فهكذا يقال فى سائر الصفات لمن سأل عن كيفيتها أن يقال كما قال الإمام مالك

تلك الصفة معلومة و كيفيتها مجهولة و الإيمان بها واجب والسؤال عنها بدعة

– و قد أخبرنا الله بها و لم يخبرنا بكيفيتها فيجب علينا الوقوف على ما حد لنا

*فأهل الزيغ يتبعون هذه الأمور المشتبهات تعرضا لما لا يعنى و تكلفا لما لا سبيل لهم إلى علمه لأنه لا يعلمها إلا الله

–و أما الراسخون في العلم فيؤمنون بها و يكلون المعنى إلى الله فيسلمون و يسلمون

2–و إن أريد بالتأويل التفسير و الكشف و الإيضاح (((و البيان و التعبير عن الشئ)))

كقوله(نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓ)يوسف: ٣٦ أى بتفسيره

كان الصواب عطف (الراسخون) على (الله) فيكون الله قد أخبر أن تفسير المتشابه

و رده إلى المحكم و إزالة ما فيه من الشبهة لا يعلمها إلا هو تعالى

و الراسخون فى العلم يعلمون أيضا فيؤمنون بها و يردونها للمحكم

و يقولون (كُلّٞ)من المحكم و المتشابه

(مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ)

و ما كان من عنده فليس فيه تعارض و لا تناقض بل هو متفق يصدق بعضه بعضا و يشهد بعضه لبعض

*و فيه تنبيه على الأصل الكبير:–

و هو أنهم إذا علموا أن جميعه من عند الله و أشكل عليهم مجمل المتشابه علموا يقينا أنه مردود إلى المحكم و إن لم يفهموا وجه ذلك.

–و لمَّا رغب تعالى فى التسليم و الإيمان بأحكامه و زجر عن اتباع المتشابه قال:–

(وَمَا يَذَّكَّرُ)يتعظ بمواعظ الله و يقبل نصحه و تعليمه

(إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ)أهل العقول الرزينة لب العالم و خلاصة بنى آدم يصل التذكير إلى عقولهم فيتذكرون ما ينفعهم فيفعلونه و ما يضرهم فيتركونه

*و أما من عداهم فهم القشور الذى لا حاصل له و لا نتيجة تحته لا ينفعهم الزجر و التذكير لخلوهم من العقول النافعة.

*أحمد6741–عن عمرو بن شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺقَوْمًا يَتَدَارَءُونَ(يختلفون فى القرآن) فَقَالَ: " إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا ضَرَبُوا كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ وَ إِنَّمَا نَزَلَ كِتَابُ اللهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا فَلَا تُكَذِّبُوا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا وَ مَا جَهِلْتُمْ فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ " 7

–ثم أخبر تعالى عن الراسخين فى العلم أنهم يدعون و يقولون(رَبَّنَا لَا تُزِغۡ)تمل

(قُلُوبَنَا)عن الحق جهلا و عنادا منا

(بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا)بل اجعلنا مستقيمين هادين مهتدين فثبتنا على هدايتك و عافنا مما ابتليت به الزائغين

(وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ)عظيمة توفقنا بها للخيرات و تعصمنا بها من المنكرات

(إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ)واسع العطايا و الهبات كثير الإحسان الذى عم جودك جميع البريات 8

(رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ)فمجازيهم بأعمالهم حسنها و سيئها 9

*و قد أثنى الله تعالى على الراسخين فى العلم بسبع صفات هى عنوان سعادة العبد: –

إحداها:–العلم الذى هو الطريق الموصل إلى الله المبين لأحكامه و شرائعه

الثانية:–الرسوخ فى العلم و هذا قدر زائد على مجرد العلم فإن الراسخ فى العلم يقتضى أن يكون عالما محققا و عارفا مدققا قد علمه الله ظاهر العلم و باطنه فرسخ قدمه فى أسرار الشريعة :–

علمـــــا و حــــــالا و عمـــــلا

الثالثة:–أنه وصفهم بالإيمان بجميع كتابه و رد لمتشابهه إلى محكمه بقوله(يقولون آمنا به كل من عند ربنا)

الرابعة:–أنهم سألوا الله العفو والعافية مما ابتلى به الزائغون المنحرفون

الخامسة:–اعترافهم بمنة الله عليهم بالهداية و ذلك قوله (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا)

السادسة:–أنهم مع هذا سألوه رحمته المتضمنة حصول كل خير و اندفاع كل شر و توسلوا إليه باسمه الوهاب

السابعة:–أنه أخبر عن إيمانهم و إيقانهم بيوم القيامة و خوفهم منه و هذا هو الموجب للعمل الرادع عن الزلل.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾

(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)بالله و برسله الجاحدين بدينه و كتابه قد استحقوا العقاب و شدة العذاب بكفرهم و ذنوبهم

عاقبة الكافرين و التعلق بالشهوات 10-17

و أنه(لَن تُغۡنِيَ)تدفع(عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا)

و إن كانوا فى الدنيا يستدفعون بذلك النكبات التي ترد عليهم(وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ)سبأ: ٣٥

فيوم القيامة(وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ)الزمر: ٤٨

يبدو لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبونو ليس للأولاد و الأموال قدر عند الله إنما ينفع العبد إيمانه بالله

و أعماله الصالحة كما قال تعالى:-

(وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ) سبأ: ٣٧

(وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ)حطب(ٱلنَّارِ)الملازمون لها دائما أبدا

و هذه الحال التى ذكر الله تعالى أنها لا تغنى الأموال و الأولاد عن الكفار شيئا سنته الجارية فى الأمم السابقة.

(إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ)الأنبياء: ٩٨ 10

(كَدَأۡبِ)كصنيع و الحال و الشأن و الأمر و العادة

(ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ)

-كما جرى لفرعون و من قبله ومن بعدهم من الفراعنة العتاة الطغاة أرباب الأموال و الجنود

لما(كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا)و جحدوا ما جاءت به الرسل و عاندوا

(فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ)عدلا منه لا ظلما

(وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ)على من أتى بأسباب العقاب و هو الكفر و الذنوب على اختلاف أنواعها و تعدد مراتبها 11

ثم قال تعالى (قُل) يا محمد(لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ)

و في هذا إشارة للمؤمنين بالنصر و الغلبة و تحذير للكفار

و قد وقع كما أخبر تعالى فنصر الله المؤمنين على أعدائهم من كفار المشركين و اليهود و النصارى

و سيفعل هذا تعالى بعباده و جنده المؤمنين إلى يوم القيامة

–ففي هذا عبرة و آية من آيات القرآن المشاهدة بالحس و العيان

*مع أنهم مغلوبون في الدار(وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ)و يجمعون يوم القيامة لدار البوار

(وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ)الفراش دائمًا لكم

و هذا هو الذى مهدوه لأنفسهم فبئس المهاد مهادهم و بئس الجزاء جزاؤهم12

(قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ)عبرة عظيمة–دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ مُعِزٌّ دِينَهُ وَ نَاصِرٌ رَسُولَهُ وَ مُظْهِرٌ كَلِمَتَهُ وَ مُعْلٍ أَمْرَهُ
*قَدْ كَانَ لَكُمْ -أَيُّهَا الْيَهُودُ الْقَائِلُونَ مَا قُلْتُمْ -

(فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ)للقتال و هذا يوم بدر

(فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ)و هم الرسول ﷺو أصحابه

(وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ)كفار قريش الذين خرجوا من ديارهم بطرا و فخرا و رئاء الناس و يصدون عن سبيل الله

فجمع الله بين الطائفتين في بدرو كان المشركون أضعاف المؤمنين

فلهذا قال(يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ)

يرى المؤمنون الكافرين يزيدون عليها زيادة كثيرة تبلغ المضاعفة و تزيد عليها و أكد هذا بقوله (رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ)
جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ فِيمَا رَأَوْهُ سَبَبًا لِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِمْ. وَ هَذَا لَا إِشْكَالَ عَلَيْهِ إِلَّا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ
الاول :-وَ هِيَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ بَعَثُوا عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ يَوْمَئِذٍ قَبْلَ الْقِتَالِ يَحْزِرُ لَهُمُ الْمُسْلِمِينَ فَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ يَزِيدُونَ قَلِيلًا أَوْ يَنْقُصُونَ قَلِيلًا. وَ هَكَذَا كَانَ الْأَمْرُ كَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ثُمَّ لَمَّا وَقَعَ الْقِتَالُ أَمَدَّهُمُ اللَّهُ بِأَلْفٍ مِنْ خَوَاصِّ الْمَلَائِكَةِ وَ سَادَاتِهِمْ.
وَ الْقَوْلُ الثَّانِي:-أَنَّ الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ:-{يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ}
تَرَى الْفِئَةُ الْمُسْلِمَةُ الْفِئَةَ الْكَافِرَةَ مِثْلَيْهِمْ أَيْ: ضِعْفَيْهِمْ فِي الْعَدَدِ وَ مَعَ هَذَا نَصَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.
*لَكِنْ بَقِيَ سُؤَالٌ آخَرُ وَ هُوَ وَارِدٌ عَلَى الْقَوْلَيْنِ وَ هُوَ أَنْ يُقَالَ:-
مَا الْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ وَ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي قِصَّةِ بَدْرٍ:
{وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا} ؟ [الأنفال: 44]

وَ الْجَوابُ:أَنَّ هَذَا كَانَ فِي حَالٍ وَ الْآخَرُ كَانَ فِي حَالٍ أُخْرَى كَمَا قَالَ السُّدِّي عَنِ مرة الطَّيِّبِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ:{قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ}الْآيَةَ

قَالَ:هَذَا يَوْمُ بَدْرٍ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه:-وَ قَدْ نَظَرْنَا إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَرَأَيْنَاهُمْ يُضْعَفون عَلَيْنَا ثُمَّ نَظَرْنَا إِلَيْهِمْ فَمَا رَأَيْنَاهُمْ يَزِيدُونَ عَلَيْنَا رَجُلًا وَاحِدًا وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:-

{وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ}

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ:-لَقَدْ قُلِّلُوا فِي أَعْيُنِنَا حَتَّى قُلْتُ لِرَجُلٍ إِلَى جَانِبِي تَرَاهُمْ سَبْعِينَ؟
قَالَ: أَرَاهُمْ مِائَةً. قَالَ: فَأَسَرْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ فَقُلْنَا: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ:-أَلْفًا.
فَعِنْدَمَا عَايَنَ كُلُّ الْفَرِيقَيْنِ الْآخَرَ رَأَى الْمُسْلِمُونَ الْمُشْرِكِينَ مِثْلَيْهِمْ أَيْ:-
أَكْثَرُ مِنْهُمْ بِالضِّعْفِ لِيَتَوَكَّلُوا وَ يَتَوَجَّهُوا وَ يَطْلُبُوا الْإِعَانَةَ مِنْ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ.
-وَ رَأَى الْمُشْرِكُونَ الْمُؤْمِنِينَ كَذَلِكَ لِيَحْصُلَ لَهُمُ الرُّعْبُ وَ الْخَوْفُ وَ الْجَزَعُ وَ الْهَلَعُ ثُمَّ لَمَّا حَصَلَ التَّصَافُّ وَ الْتَقَى الْفَرِيقَانِ:-قَلَّلَ اللَّهُ هَؤُلَاءِ فِي أَعْيُنِ هَؤُلَاءِ وَ هَؤُلَاءِ فِي أَعْيُنِ هَؤُلَاءِ لِيُقْدِمَ كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَى الْآخَرِ.

(وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ)فنصر الله المؤمنين و أيدهم بنصره فهزموهم و قتلوا صناديدهم و أسروا كثيرا منهم

و ما ذاك إلا لأن الله ناصر من نصره و خاذل من كفر به

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً)لَعِظة عظيمة

(لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ)البصائر النافذة و العقول الكاملة على أن الطائفة المنصورة معها الحق و الأخرى مبطلة

و إلا فلو نظر الناظر إلى مجرد الأسباب الظاهرة و العدد و العُدد

لجزم بأن غلبة هذه الفئة القليلة لتلك الفئة الكثيرة من أنواع المحالات

و لكن وراء هذا السبب المشاهد بالأبصار سبب أعظم منه لا يدركه إلا أهل البصائر و الإيمان بالله و التوكل

على الله و الثقة بكفايته و هو نصره و إعزازه لعباده المؤمنين على أعدائه الكافرين 13

يخبر تعالى أنه(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ)

الدنيوية-جمع شهوة بمعنى المشتهى طبعاً وغريزة؛ كالطعام و الشراب اللذيذين.

(مِنَ ٱلنِّسَآءِ)فَبَدَأَ بِالنِّسَاءِ لِأَنَّ الْفِتْنَةَ بِهِنَّ أَشَدُّ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ

*البخارى5096 -عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِىِّ ﷺقَالَ:-
«مَا تَرَكْتُ بَعْدِى فِتْنَةً(سببا للفتنة و ذلك بتكليف الرجال من النفقة ما لا يطيق أحيانا وبإغرائهن و إمالتهن عن الحق إذا خرجن واختلطن بالرجال لا سيما إذ كن سافرات متبرجات)أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»
*فَأَمَّا إِذَا كَانَ الْقَصْدُ بِهِنَّ الْإِعْفَافَ وَ كَثْرَةَ الْأَوْلَادِ فَهَذَا مَطْلُوبٌ مَرْغُوبٌ فِيهِ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ كَمَا وَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ بِالتَّرْغِيبِ فِي التَّزْوِيجِ وَ الِاسْتِكْثَارِ مِنْهُ و إِنَّ خَيْرَ هَذه الأمَّةِ كَانَ أَكْثرهَا نسَاءً"
*مسلم1467عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:«الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَ خَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»
*أبي داود 1664 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:-{وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ} [التوبة: 34]
قَالَ: كَبُرَ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: أَنَا أُفَرِّجُ عَنْكُمْ فَانْطَلَقَ

فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّهُ كَبُرَ عَلَى أَصْحَابِكَ هَذِهِ الْآيَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-
«إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَفْرِضِ الزَّكَاةَ إِلَّا لِيُطَيِّبَ مَا بَقِيَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَ إِنَّمَا فَرَضَ الْمَوَارِيثَ لِتَكُونَ لِمَنْ بَعْدَكُمْ»
فَكَبَّرَ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِخَيْرِ مَا يَكْنِزُ الْمَرْءُ؟
الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ وَ إِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ وَ إِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ

(وَٱلْبَنِينَ)وَ حُبُّ الْبَنِينَ تَارَةً يَكُونُ لِلتَّفَاخُرِ وَ الزِّينَةِ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي هَذَا وَ تَارَةً يَكُونُ لِتَكْثِيرِ النَّسْلِ

وَ تَكْثِيرِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فَهَذَا مَحْمُودٌ مَمْدُوحٌ كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ:-

*أبي داود 2050 - عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:
إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَ جَمَالٍ وَ إِنَّهَا لَا تَلِدُ(كَأَنَّهُ عَلِمَ بِذَلِكَ بِأَنَّهَا لَا تَحِيضُ)أَفَأَتَزَوَّجُهَا
قَالَ:-«لَا» ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ
فَقَالَ:-«تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ(الَّتِي تُحِبُّ زَوْجَهَا)الْوَلُودَ(الَّتِى تَكْثُرُ وِلَادَتُهَا)فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ»
وَقَيَّدَ بِهَذَيْنِ لِأَنَّ الْوَلُودَ إِذَا لَمْ تَكُنْ وَدُودًا لَمْ يَرْغَبِ الزَّوْجُ فِيهَا وَالْوَدُودَ إِذَا لَمْ تَكُنْ وَلُودًا لَمْ يَحْصُلِ الْمَطْلُوبُ وَهُوَ تَكْثِيرُ الْأُمَّةِ بِكَثْرَةِ التَّوَالُدِ
*وَ حُبُّ الْمَالِ - كَذَلِكَ-تَارَةً:-
1-يَكُونُ لِلْفَخْرِ وَ الْخُيَلَاءِ وَ التَّكَبُّرِ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَ التَّجَبُّرِ عَلَى الْفُقَرَاءِ فَهَذَا مَذْمُومٌ
2-وَ تَارَةً يَكُونُ لِلنَّفَقَةِ فِي الْقُرُبَاتِ وَ صِلَةِ الْأَرْحَامِ وَ الْقَرَابَاتِ وَ وُجُوهِ الْبِرِّ فَهَذَا مَمْدُوحٌ مَحْمُودٌ عَلَيْهِ شَرْعًا.

(وَٱلْقَنَٰطِيرِ)القنطار:-ألف و مائة أوقية فضة

(ٱلْمُقَنطَرَةِ)الكثيرة بعضها فوق بعض(مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ)

(وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ)
ذات السمات الحسان المطهمة و المعدة للركوب عليها للغزو و الجهاد أو الغرة و التحجيل
*وَ حُبُّ الْخَيْلِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:-
1-تَارَةً يَكُونُ ربطَها أصحابُها مُعدَّةً لِسَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مَتَى احْتَاجُوا إِلَيْهَا غزوا عَلَيْهَا فَهَؤُلَاءِ يُثَابُونَ.
2-وَ تَارَةً تُرْبَطُ فَخْرًا وَ نِوَاءً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَهَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا وِزْر.
3-وَ تَارَةً لِلتَّعَفُّفِ وَ اقْتِنَاءِ نَسْلِهَا. وَ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا فَهَذِهِ لِصَاحِبِهَا سِتْر عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى:-
(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن

شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)الأنفال: ٦٠

(وَٱلْأَنْعَٰمِ)الإبل و البقر و الغنم

(وَٱلْحَرْثِ)
الزروع و الحقول و سائر النباتات النافعة-مصدر أطلق على المحروثات نفسها من المزارع و الحدائق.
–و خص هذه الأمور المذكورة لأنها أعظم شهوات الدنيا و غيرها تبع لها قال تعالى:-

(إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)الكهف:٧
*فلما زينت لهم هذه المذكورات بما فيها من الدواعى المثيرات تعلقت بها نفوسهم و مالت إليها قلوبهم
و انقسموا بحسب الواقع إلى قسمين:–

1-القسم الاول:-جعلوها هى المقصود فصارت أفكارهم و خواطرهم و أعمالهم الظاهرة و الباطنة لها
فشغلتهم عما خلقوا لأجله و صحبوها صحبة البهائم السائمة يتمتعون بلذاتها و يتناولون شهواتها و لا يبالون
على أى وجه حصلوها و لا فيما أنفقوها و صرفوها فهؤلاء كانت زادا لهم إلى دار الشقاء و العناء و العذاب
2-و القسم الثانى:-عرفوا المقصود منهـــا و أن الله جعلها ابتـــلاء و امتحانـــا لعباده
ليعلم من يقدم طاعته و مرضاته على لذاته و شهواته فجعلوها وسيلة لهم و طريقا يتزودون منها لآخرتهم
و يتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته قد صحبوها بأبدانهم و فارقوها بقلوبهم و علموا
أنها كما قال الله فيها

(ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ)

فجعلوها معبرا إلى الدار الآخرة و متجرا يرجون بها الفوائد الفاخرة فهؤلاء صارت لهم زادا إلى ربهم.
*و فى هذه الآية تسلية للفقراء الذين لا قدرة لهم على هذه الشهوات التي يقدر عليها الأغنياء
*و تحذير للمغترين بها و تزهيد لأهل العقول النيرة بها

(وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ)المرجع و الثواب و هو الجنَّة 14

(قُلۡ)يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ(أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ)أَأُخْبِرُكُمْ بِخَيْرٍ

(مِّن ذَٰلِكُمۡۚ)مِمَّا زُيِّنَ لِلنَّاسِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ زَهْرَتِهَا وَ نَعِيمِهَا الَّذِى هُوَ زَائِلٌ لَا مَحَالَةَ

(لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ)

-و تمام ذلك أن الله تعالى أخبر بعدها عن دار القرار و مصير المتقين الأبرار و أخبر أنها خير من ذلكم

المذكور (جَنَّـٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ)
تَنْخَرِقُ بَيْنَ جَوَانِبِهَا وَ أَرْجَائِهَا الْأَنْهَارُ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَشْرِبَةِ مِنَ:-الْعَسَلِ وَ اللَّبَنِ وَ الْخَمْرِ وَ الْمَاءِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ
مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَ لَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَ لَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

(خَٰلِدِينَ فِيهَا)مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدَ الْآبَادِ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلا.ألا و هى الجنات العاليات ذات المنازل الأنيقة
و الغرف العالية و الأشجار المتنوعة المثمرة بأنواع الثمار و الأنهار الجارية على حسب مرادهم

(وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّـرَةٞ)من كل قذر و دنس و عيب ظاهر و باطن
*و الخَبَثَ وَ الْأَذَى وَ الْحَيْضِ وَ النِّفَاسِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَعْتَرِى نِسَاءَ الدُّنْيَا.

(وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ)

*مع الخلود الدائم الذى به تمام النعيم مع الرضوان من الله الذي هو أكبر نعيم
*فقس هذه الدار الجليلة بتلك الدار الحقيرة ثم اختر لنفسك أحسنهما و اعرض على قلبك المفاضلة بينهما
{وَرِضۡوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكۡبَرُ}[التَّوْبَة: 72] أَىْ: أَعْظَمُ مِمَّا أَعْطَاهُمْ من النعيم المقيم

*البخارى 6549 - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-
"إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَ سَعْدَيْكَ
فَيَقُولُ:-هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَ مَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَ قَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ
فَيَقُولُ:-أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟
فَيَقُولُ:-أُحِلُّ(أنزل و أوجب)عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا "

(وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ)

عالم بما فيهم من الأوصاف الحسنة و الأوصاف القبيحة و ما هو اللائق بأحوالهم يوفق من شاء منهم و يخذل من شاء

*فالجنة التى ذكر الله وصفها و نعتها بأكمل نعت وصف أيضا المستحقين لها و هم الذين اتقوه بفعل ما أمر به و ترك ما نهى عنه15

*و كان من دعائهم أن قالوا–

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾

ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾

شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا

بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾

فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ

فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ

بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ

فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

(ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ)

توسلوا بمنة الله عليهم بتوفيقهم للإيمان أن يغفر لهم ذنوبهم و يقيهم شر آثارها و هو عذاب النار 16

*ثم فصل أوصاف التقوى فقال(ٱلصَّٰبِرِينَ)أنفســــهم على :-

1-ما يحبــــه الله من طاعته 2-و عن معصـــــيته 3-و على أقـــداره المؤلمة

(وَٱلصَّٰدِقِينَ)فى إيمانهم و أقوالهم و أحوالهم-فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ مِنْ إِيمَانِهِمْ بِمَا يَلْتَزِمُونَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ

(وَٱلْقَٰنِتِينَ)وَ الْقُنُوتُ: الطَّاعَةُ وَ الْخُضُوعُ

(وَٱلْمُنفِقِينَ)مما رزقهم الله بأنواع النفقات فِي جَمِيعِ مَا أُمِرُوا بِهِ مِـــنَ :-

الطَّاعَاتِ و صلة الأرحام و القرابات وَ سَدِّ الخَلات وَ مُوَاسَاةِ ذَوِى الْحَاجَاتِ

(وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ)

*البخارى1145- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:

يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَ تَعَالَى(نزولا يليق بجلاله)كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا(الأولى و سميت الدنيا لقربها من أهل الأرض)

حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِى فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ

*لما بين صفاتهم الحميدة ذكر احتقارهم لأنفسهم و أنهم لا يرون لأنفسهم حالا و لا مقاما

*بل يرون أنفسهم مذنبين مقصرين فيستغفرون ربهم

*و يتوقعون أوقات الإجابة و هى السحر .قال الحسن:–مدوا الصلاة إلى السحر ثم جلسوا يستغفرون ربهم.

*فتضمنت هذه الآيات حالة الناس فى الدنيا و أنها متاع ينقضى

*ثم وصف الجنة و ما فيها من النعيم و فاضل بينهما و فضل الآخرة على الدنيا تنبيها على أنه يجب إيثارها و العمل لها

*و وصف أهل الجنة و هم المتقون ثم فصل خصال التقوى فبهذه الخصال يزن العبد نفسه هل هو من أهل الجنة أم لا؟ 17

وحدانية الله و اقامة الحجة 18-20

(شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)هذا تقرير من الله تعالى للتوحيد بأعظم الطرق الموجبة له و هى شهادته تعالى

*أما شهادته تعـــــالى :–فيما أقامه من الحجج و البراهين القاطعة على توحيده و أنه لا إله إلا هو

1–فنوع الأدلة فى الآفاق و الأنفس على هذا الأصل العظيم و لو لم يكن فى ذلك إلا أنه ما قام أحد بتوحيده إلا و نصره على المشرك الجاحد المنكر للتوحيد

2–و كذلك إنعامه العظيم الذى ما بالعباد من نعمة إلا منه

3–و لا يدفع النقم إلا هو و الخلق كلهم عاجزون عن المنافع و المضار لأنفسهم و لغيرهم

*ففى هذا برهان قاطع على وجوب التوحيد و بطلان الشرك

(وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ)أما شهادة الملائكة بذلك فنستفيدها بإخبار الله لنا بذلك و إخبار رسله

(وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ)

و أما شهادة أهل العلم:–

–فلأنهم هم المرجع فى جميع الأمور الدينية خصوصا فى أعظم الأمور و أجلها و أشرفها و هو التوحيد

–فكلهم من أولهم إلى آخرهم قد اتفقوا على ذلك و دعوا إليه و بينوا للناس الطرق الموصلة إليه

–فوجب على الخلق التزام هذا الأمر المشهود عليه و العمل به

–و فى هذا دليل على أن أشرف الأمور (علم التوحيد)لأن الله شهد به بنفسه و أشهد عليه خواص خلقه

و الشهادة لا تكون إلا عن علم و يقين بمنزلة المشاهدة للبصر

–ففيه دليل على أن من لم يصل فى علم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولى العلم.

و فى هذه الآية دليل على شرف العلم من وجوه كثيرة:–

1–منها:أن الله خصهم بالشهادة على أعظم مشهود عليه دون الناس

2–و منها:–أن الله قرن شهادتهم بشهادته و شهادة ملائكته و كفى بذلك فضلا

3–و منها:–أنه جعلهم أولى العلم فأضافهم إلى العلم إذ هم القائمون به المتصفون بصفته

4–و منها:–أنه تعالى جعلهم شهداء و حجة على الناس و ألزم الناس العمل بالأمر المشهود به

فيكونون هم السبب فى ذلك فيكون كل من عمل بذلك نالهم من أجره و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

5–و منها:–أن إشهاده تعالى أهل العلم يتضمن ذلك تزكيتهم و تعديلهم و أنهم أمناء على ما استرعاهم عليه

*و لما قرر توحيده قرر عدله فقال: (قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ)بالعدل-

*لم يزل متصفا بالقسط فى أفعاله و تدبيره بين عباده فهو على صراط مستقيم في ما أمر به و نهى عنه و فيما خلقه و قدره ثم أعاد تقرير توحيده فقال (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ)

و اعلم أن هذا الأصل الذى هو توحيد الله و إفراده بالعبودية قد دلت عليه الأدلة النقلية و الأدلة العقلية حتى صار لذوى البصائر أجلى من الشمس

*فأما الأدلة النقلية :–

فكل ما فى كتاب الله وسنة رسوله من الأمر به و تقريره و محبة أهله و بغض من لم يقم به و عقوباتهم و ذم الشرك و أهله فهو من الأدلة النقلية على ذلك حتى كاد القرآن أن يكون كله أدلة عليه

*و أما الأدلة العقلية:–

التى تُدرك بمجرد فكر العقل و تصوره للأمور فقد أرشد القرآن إليها و نبه على كثير منها

فمـــــن أعظـــــمها:

1–الاعتراف بربوبية الله فإن من عرف أنه هو :–

الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور أنتج له ذلك أنه هو المعبود الذي لا تنبغى العبادة إلا له

*و لما كان هذا من أوضح الأشياء و أعظمها أكثر الله تعالى من الاستدلال به في كتابه.

2–و من الأدلة العقلية على أن الله هو الذى يؤله دون غيره:– انفراده بالنعم و دفع النقم

فإن من عرف أن النعم الظاهرة و الباطنة القليلة و الكثيرة كلها من الله و أنه ما من نقمة و لا شدة و لا كربة+ إلا و هو الذى ينفرد بدفعها

–و إن أحدا من الخلق لا يملك لنفسه – فضلا عن غيره– جلب نعمة و لا دفع نقمة تيقن أن عبودية ما سوى الله من أبطل الباطل

–و أن العبودية لا تنبغى إلا لمن انفرد بجلب المصالح و دفع المضار فلهذا أكثر الله فى كتابه من التنبيه على هذا الدليل جدا

3–و من الأدلة العقلية أيضا على ذلك:–ما أخبر به تعالى عن المعبودات التى عُبدت من دونه

بأنها لا تملك نفعا و لا ضرا و لا تنصر غيرها و لا تنصر نفسها و سلبها الأسماع و الأبصار و أنها على فرض سماعها لا تغنى شيئا و غير ذلك من الصفات الدالة على نقصها غاية النقص

4–و ما أخبر به عن نفسه العظيمة من الصفات الجليلة و الأفعال الجميلة و القدرة و القهر

و غير ذلك من الصفات التى تعرف بالأدلة السمعية و العقلية

-فمن عرف ذلك حق المعرفة عرف أن العبادة لا تليق و لا تحسن إلا بالرب العظيم الذي له الكمال كله و المجد كله و الحمد كله و القدرة كلها و الكبرياء كلها لا بالمخلوقات المدبرات الناقصات الصم البكم الذين لا يعقلون

4-و من الأدلة العقلية على ذلك ما شاهده العباد بأبصارهم من قديم الزمان و حديثه من:-

الإكرام لأهل التوحيد و الإهانة و العقوبة لأهل الشرك

-و ما ذاك إلا لأن التوحيد جعله الله موصلا إلى كل خير دافعا لكل شر دينى و دنيوى

-و جعل الشرك به و الكفر سببا للعقوبات الدينية و الدنيوية

-و لهذا إذا ذكر تعالى قصص الرسل مع أمم المطيعين و العاصين

-و أخبر عن عقوبات العاصين و نجاة الرسل و من تبعهم

قال عقب كل قصة:-(إن فى ذلك لآية)

لعبرة يعتبر بها المعتبرون فيعلمون أن توحيده هو الموجب للنجاة و تركه هو الموجب للهلاك

-فهذه من الأدلة الكبار العقلية النقلية الدالة على هذا الأصل العظيم و قد أكثر الله منها فى كتابه و صَرَّفها و نَوَّعها ليحيى من حى عن بينة و يهلك من هلك عن بينة فله الحمد و الشكر و الثناء 18

(إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ)

و لما قرر أنه الإله الحق المعبود بين العبادة و الدين الذى يتعين أن يعبد به و يدان له و هــو

(ٱلْإِسْلَٰمُ)الذى هو الاستسلام لله بتوحيده و طاعته التى دعت إليها رسله و حثت عليها كتبه

-و هو الذى لا يقبل من أحد دين سواه

-و هو متضمن للإخلاص له فى الحب و الخوف و الرجاء و الإنابة و الدعاء و متابعة رسوله فى ذلك

-و هذا هو دين الرسل كلهم و كل من تابعهم فهو على طريقهم

*و إنما اختلف أهل الكتاب بعد ما جاءتهم كتبهم تحثهم على الاجتماع على دين الله بغيا بينهم و ظلما و عدوانا من أنفسهم

*و إلا فقد جاءهم السبب الأكبر الموجب أن يتبعوا الحق و يتركوا الاختلاف و هذا من كفرهم فلهذا قال الله

(وَمَا ٱخْتَلَفَ)وقع الخلاف بين(ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ)من اليهود و النصارى فتفرقوا شيعًا و أحزابًا

(إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ)قامت الحجة عليهم بإرسال الرسل و إنزال الكتب

(بَغْيًۢا)حسدًا(بَيْنَهُمْ)طلبًا للدنيا

(وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ)

فيجازى كل عامل بعمله و خصوصا من ترك الحق بعد معرفته فهذا مستحق للوعيد الشديد و العقاب الأليم 19

(فَإِنْ حَآجُّوكَ)جادلوك في التوحيد

*ثم أمر تعالى رسوله ﷺعند محاجة النصارى و غيرهم ممن يفضل غير دين الإسلام عليه أن يقول لهم:-

(فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ)علي ديني

كقوله(قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) يوسف: ١٠٨

أى: أنا و من اتبعنى قد أقررنا و شهدنا و أسلمنا وجوهنا لربنا و تركنا ما سوى دين الإسلام و جزمنا ببطلانه

-ففى هذا تأييس لمن طمع فيكم و تجديد لدينكم عند ورود الشبهات و حجة على من اشتبه عليه الأمر

-لأنه قد تقدم أن الله استشهد على توحيده بأهل العلم من عباده

ليكونوا حجة على غيرهم و سيد أهل العلم و أفضلهم و أعلمهم هو نبينا محمد ﷺ

-ثم من بعده أتباعه على اختلاف مراتبهم و تفاوت درجاتهم فلهم من العلم الصحيح و العقل الرجيح ما ليس لأحد من الخلق ما يساويهم أو يقاربهم فإذا ثبت و تقرر توحيد الله و دينه بأدلته الظاهرة

و قام به أكمل الخلق وأعلمهم حصل بذلك اليقين و انتفى كل شك و ريب و قادح و عرف أن ما سواه من الأديان باطلة

فلهذا قال (وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ)من النصارى و اليهود

(وَٱلْأُمِّيِّۦنَ)مشركى العرب و غيرهم

(ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ)بمثل ما آمنتم به

(فَقَدِ ٱهْتَدَواْ)كما اهتديتم و صاروا إخوانكم لهم ما لكم و عليهم ما عليكم

(وَّإِن تَوَلَّوْاْ)عن الإسلام و رضوا بالأديان التى تخالفه

(فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ)

فقد وجب أجرك على ربك و قامت عليهم الحجة و لم يبق بعد هذا إلا مجازاتهم بالعقاب على جرمهم

فلهذا قال (وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ)عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الضَّلَالَةَ

وَ هُوَ الَّذِى {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}[الأنبياء: 33] وَ مَا ذَاكَ إِلَّا لِحِكْمَتِهِ وَ رَحْمَتِهِ.

وَ هَذِهِ الْآيَةُ وَأَمْثَالُهَا مَنْ أَصْرَحِ الدَّلَالَاتِ عَلَى عُمُومِ بِعْثَتِهِﷺإِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ دِينِهِ ضَرُورَةً وَ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَ السُّنَّةُ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ وَحَدِيثٍ

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}[الأعراف: 158]

وَ قَالَ تَعَالَى: {تَبَارَكَ الَّذِى نزلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}[الفرقان: 1]

وَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَ غَيْرِهِمَا مِمَّا ثَبَتَ تَوَاتُرُهُ بِالْوَقَائِعِ الْمُتَعَدِّدَةِ أَنَّهُ بَعَثَ كُتُبَهُ ﷺيَدْعُو إِلَى اللَّهِ مُلُوكَ الْآفَاقِ

وَ طَوَائِفَ بَنِي آدَمَ مِنْ عَرَبِهِمْ وَ عَجَمِهِمْ كتابِيِّهِم و أُمِّيِّهِم امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ لَهُ بِذَلِكَ

*مسلم 153 أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ:

«وَ الَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَ لَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»

*البخارى 335 - عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:-

وَ كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَ بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً" 20

قتلة الانبياء و طبيعة أهل الكتاب 21-25

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ)

هؤلاء الذين أخبر الله عنهم فى هذه الآية أشد الناس جرما و أى جرم أعظم من الكفر بآيات الله التى تدل دلالة قاطعة على الحق الذى من كفر بها فهو فى غاية الكفر و العناد

(وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ)

و يقتلون أنبياء الله الذين حقهم أوجب الحقوق على العباد بعد حق الله الذين أوجب الله طاعتهم و الإيمان بهم و تعزيرهم و توقيرهم و نصرهم و هؤلاء قابلوهم بضد ذلك وَ هَذَا هُوَ غَايَةُ الْكِبْرِ

*مسلم 147قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-(إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَ غَمْطُ النَّاسِ»

(وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ)

و يقتلون أيضا الذين يأمرون الناس بالقسط الذى هو العدل و هو الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر الذى حقيقته :–إحسان إلى المأمور و نصح له فقابلوهم شر مقابلة

(فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)

فاستحقوا بهذه الجنايات المنكرات أشد العقوبات و هو العذاب المؤلم البالغ فى الشدة إلى غاية لا يمكن وصفها و لا يقدر قدرها المؤلم للأبدان و القلوب و الأرواحِ 21

(أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ)بطلت(أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ)بما كسبت أيديهم

(وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ)و ما لهم أحد ينصرهم من عذاب الله و لا يدفع عنهم من نقمته مثقال ذرة بل قد أيسوا من كل خير و حصل لهم كل شر و ضير

و هذه الحالة صفة اليهود و نحوهم قبحهم الله ما أجرأهم على الله و على أنبيائه و عباده الصالحين22

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

(أَلَمْ تَرَ إِلَى)أرأيت -أيها الرسول-حالا أعجب من حال(الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ)
من اليهود الذين أتاهم الله حظا من الكتاب فعلموا أن ما جئت به هو الحق

(يُدْعَوْنَ إِلَى)ما جاء فى (كِتَابِ اللَّهِ)-و هو القرآن-

(لِيَحْكُمَ)ليفصل(بَيْنَهُمْ)فيما اختلفوا فيه–

يخبر تعالى عن حال أهل الكتاب الذين أنعم الله عليهم بكتابه فكان يجب أن يكونوا أقوم الناس به و أسرعهم انقيادا لأحكامه

*فإن لم يوافق أهواءهم يَأْبَ كثير منهم حكم الله(ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ)بأبدانهم

(وَهُمْ مُعْرِضُونَ)بقلوبهم و هذا غاية الذم لأن من عادتهم الإعراض عن الحق؟

*و فى ضمنها التحذير لنا أن نفعل كفعلهم فيصيبنا من الذم و العقاب ما أصابهم

–بل الواجب على كل أحد إذا دعى إلى كتاب الله أن:–يسمـــــع و يطيـــــع و ينقــــاد كما قال تعالى:–

(إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)النور: ٥١ 23

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا)و السبب الذى غر أهل الكتاب بتجرئهم على معاصى الله هو قولهم

(لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ)افتروا هذا القول فظنوه حقيقة فعملوا على ذلك و لم ينزجروا عن المحارم

(وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)استمرارهم على دينهم الباطل الذى خَدَعوا به أنفسهم.

–لأن أنفسهم مَنَّتْهُم و غرتهم أن مآلَهم إلى الجنة و كذبوا فى ذلك فإن هذا مجرد كذب و افتراء 24

و إنما مآلهم شر مآل و عاقبتهم عاقبة و خيمة فلهذا قال تعالى:–

(فَكَيْفَ)يكون حالهم و وخيم ما يقدمون عليه حالة لا يمكن وصفها و لا يتصور قبحها

(إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ)شك(فِيهِ)فى وقوعه

و قَدِ افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ وَ كَذَّبُوا رُسُـلَهُ وَ قَتَلُوا أَنْبِيَـاءَهُ وَ الْعُلَمَاءَ مِنْ قَوْمِهِمْ

الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اللَّهُ سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَ مُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ وَ مُجَازِيهِمْ بِهِ

(وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ)

لأن ذلك اليوم يوم توفية النفوس ما كسبت و مجازاتها بالعدل لا بالظلم و قد علم أن ذلك على قدر الأعمال

و قد تقدم من أعمالهم ما يبين أنهم من أشد الناس عذابا

(وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) 25

قدرة الله على كل شيء 26-27

يقول الله لنبيه ﷺ(قُلِ اللَّهُمَّ مَٰلِكَ الْمُلْكِ)

أى:أنت الملك المالك لجميع الممالك فصفة الملك المطلق لك و المملكة كلها علويها و سفليها لك

و التصريف و التدبير كله لك

*ثم فَصَّل بعض التصاريف التى انفرد البارى تعالى بها فقال:–

(تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ)أنت الذى تمنح الملك و المال و التمكين فى الأرض مَن تشاء مِن خلقك

(وَتَنزِعُ)تسلب(الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ)

–و فيه الإشارة إلى أن الله تعالى سينزع الملك من الأكاسرة و القياصرة و من تبعهم و يؤتيه أمة محمد

و قد فعل و لله الحمد فحصول الملك و نزعه تبع لمشيئة الله تعالى و لا ينافي ذلك ما أجرى الله به سنته من

الأسباب الكونية و الدينية التى هى سبب بقاء الملك و حصوله و سبب زواله

فإنها كلها بمشيئة الله لا يوجد سبب يستقل بشيء بل الأسباب كلها تابعة للقضاء و القدر

و من الأسباب التى جعلها الله سببا لحصول الملك الإيمان و العمل الصالح التى منها اجتماع المسلمين

و اتفاقهم و إعدادهم الآلات التي يقدروا عليها و الصبر و عدم التنازع

*وَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَنْبِيهٌ وَ إِرْشَادٌ إِلَى شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَ هَذِهِ الْأُمَّةِ

لِأَنَّ اللَّهَ حَوَّلَ النُّبُوَّةَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْقُرَشِيِّ الْمَكِّيِّ الْأُمِّيِّ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ

وَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ

قال الله تعالى:(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) النور: ٥٥

فأخبر أن الإيمان و العمل الصالح سبب للاستخلاف المذكورو قال تعالى:

(وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ) الأنفال

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ) الأنفال

–فأخبر أن ائتلاف قلوب المؤمنين و ثباتهم و عدم تنازعهم سبب للنصر على الأعداء

و أنت إذا استقرأت الدول الإسلامية وجدت السبب الأعظم فى زوال ملكها:–

1–تـــرك الدين

2–و التـــــفرق الذى أطمع فيهم الأعداء و جعل بأسهم بينهم

ثم قال تعالى: (وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ)بطاعتك–و تهب العزة فى الدنيا و الآخرة مَن تشاء

(وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ)بمعصيتك -و تجعل الذلّة على من تشاء

(بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ)إثبات لصفة اليد لله تعالى على ما يليق به سبحانه.

(إِنَّكَ)وحدك(عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ)لا يمتنع عليك أمر من الأمور بل الأشياء كلها طوع مشيئتك و قدرتك 26

(تُولِجُ)تدخل (ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ)تدخل(ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ)

فينشأ عن ذلك من الفصول و الضياء و النور والشمس و الظل و السكون و الانتشار ما هو من أكبر الأدلة على قدرة الله و عظمته و حكمته و رحمته

(وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ)كالفرخ من البيضة و كالشجر من النوى و كالزرع من بذره و كالمؤمن من الكافر

(وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ)كالبيضة من الطائر و كالنوى من الشجر و كالحب من الزرع و كالكافر من المؤمن

*و هذا أعظم دليل على قدرة الله و أن جميع الأشياء مسخرة مدبرة لا تملك من التدبير شيئا فخلقه تعالى الأضداد و الضد من ضده بيان أنها مقهورة

(وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ)رزقا واسعا(بِغَيۡرِ حِسَابٖ)من حيث لا يحتسب و لا يكتسب

*تُعْطِى مَنْ شِئْتَ مِنَ الْمَالِ مَا لَا يَعده وَ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِحْصَائِهِ وَ تَقْتُرُ عَلَى آخَرِينَ لِمَا لك فى ذَلِكَ مِنَ :- الْحِكْمَةِ وَ الْإِرَادَةِ وَ الْمَشِيئَةِ وَ الْعَدْلِ27

ثم قال تعالى:–(لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ)

و هذا نهى من الله تعالى للمؤمنين عن موالاة الكافرين :–

1–بالمحبــــــة

حكم موالاة الكافرين 28-30

2–و النصـــــرة

3–و الاستعـــــانة بهم على أمر من أمور المسلمين .و توعد على ذلك فقال:–

(وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ)فقد انقطع عن الله و ليس له فى دين الله نصيب لأن :–

1–موالاة الكافرين لا تجتمع مع الإيمان

2–لأن الإيمان يأمر بموالاة الله و موالاة أوليائه المؤمنين المتعاونين على إقامة دين الله و جهاد أعدائه

قال تعالى: (وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ) التوبة: ٧١

فمن والى الكافرين من دون المؤمنين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله و يفتنوا أولياءه ←

1–خـــــرج من حزب المؤمنين

2–و صـــــار من حزب الكافرين

قال تعالى:–(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ)المائدة: ٥١

و فى هذه الآية دليل على :

1–الابتعاد عن الكفار و عن معاشرتهم و صداقتهم و الميل إليهم و الركون إليهم

2–و أنه لا يجوز أن يُوَّلَى كافر ولايةً من ولايات المسلمين

3–و لا يُستعان به على الأمور التى هى مصالح لعموم المسلمين.

(إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ)

إلا أن تكونوا ضعافًا خائفين فيحل لكم أن تفعلوا ما تعصمون به دماءكم من التقية باللسان و إظهار ما به تحصل التقية فقد رخَّص الله لكم فى مهادنتهم اتقاء لشرهم حتى تقوى شوكتكم

*إِلَّا من خاف فى بعض البلدان أو الأوقات مِنْ شَرِّهِمْ فَلَهُ أَنْ:-يَتَّقِيَهُمْ بِظَاهِرِهِ لَا بِبَاطِنِهِ وَ نِيَّتِه

ثم قال تعالى:–(وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ)فلا تتعرضوا لسخطه بارتكاب معاصيه:-

لِمَنْ وَالَى أَعْدَاءَهُ وَ عَادَى أَوْلِيَاءَهُ فيعاقبكم على ذلك

(وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ)المرجع للعباد ليوم التناد فيحصى أعمالهم و يحاسبهم عليهاو يجازيهم

*فإياكم أن تفعلوا من الأعمال القباح ما تستحقون به العقوبة و اعملوا ما به يحصل الأجر و المثوبة 28

(قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ)ثم أخبر عن سعة علمه لما فى النفوس خصوصا

(وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ)

و لما فى السماء و الأرض عموما و عن كمال قدرته ففيه إرشـــــاد إلي:–

1–تطهير القلوب

2–و استحضار علم الله كل وقت فيستحى العبد من ربه أن يرى قلبه محلا لكل فكر ردىء

3-بل يشغـــــل أفكـــــاره فيما:-

1-يقرب إلى الله من تدبر آية من كتاب

2- أو سنة من أحاديث رسول الله

3-أو تصور و بحث في علم ينفعه

4-أو تفكر في مخلوقات الله و نعمه

5-أو نصح لعباد الله29

يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧

*أخبر الله عن علمه و قدرته بالمجازاة على الأعمال و محل ذلك يوم القيامة فهو الذى توفى به النفوس بأعمالها فقال(يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا)كاملا موفرا لم ينقص مثقال ذرة كما قال تعالى:–

(فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ) الزلزلة: ٧- كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يُنَبَّأُ الإنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ} [الْقِيَامَة: 13]

فَمَا رَأَى مِنْ أَعْمَالِهِ حَسَنًا سَرَّهُ ذَلِكَ وَ أَفْرَحَهُ وَ مَا رَأَى مِنْ قَبِيحٍ سَاءَهُ وَ غَاظَهُ وَ وَدَّ لَوْ أَنَّهُ تَبَرَّأَ مِنْهُ وَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا أَمَدٌ بَعِيدٌ كَمَا يَقُولُ لِشَيْطَانِهِ الَّذِى كَانَ مُقْتَرِنًا بِهِ فِي الدُّنْيَا وَ هُوَ الَّذِى جرَّأه عَلَى فِعْلِ السُّوءِ:-

{يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ}[الزُّخْرُفِ: 38] .

و الخير: اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله من الأعمال الصالحة صغيرها و كبيرها

(وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ)اسم جامع لكل ما يسخط الله من الأعمال السيئة صغيرها و كبيرها

(تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا)مسافة(بَعِيدٗاۗ)لعظم أسفها و شدة حزنها

فليحذر العبد من أعمال السوء التى لا بد أن يحزن عليها أشد الحزن و ليتركها وقت الإمكان قبل أن يقول

(أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ) الزمر

(وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا) الفرقان

(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ) الزخرف: ٣٨

*فو الله لترك كل شهوة و لذة و إن عسر تركها على النفس في هذه الدار أيسر من معاناة تلك الشدائد و احتمال تلك الفضائح و لكن العبد من ظُلْمه و جهله لا ينظر إلا الأمر الحاضر

–فليس له عقل كامل يلحظ به عواقب الأمور فيقدم على ما ينفعه عاجلا و آجلا و يحجم عن ما يضره عاجلا و آجلا

–ثم أعاد تعالى تحذيرنا نفسه رأفة بنا و رحمة لئلا يطول علينا الأمد فتقسو قلوبنا و ليجمع لنا بين الترغيب الموجب للرجاء و العمل الصالح و الترهيب الموجب للخوف و ترك الذنوب فقال :–

(وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ)مِنْ رَأْفَتِهِ بِهِمْ حَذَّرَهُمْ نَفْسَهُ

–فنسأله أن يمن علينا بالحذر منه على الدوام حتى لا نفعل ما يسخطه و يغضبه30

(قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ)

ادعيتم هذه المرتبة العالية و الرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفى فيها مجرد الدعوى بل لا بد من الصدق فيها هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ حَاكِمَةٌ عَلَى كُلِّ مَنِ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ وَ لَيْسَ هُوَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فَإِنَّهُ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ حَتَّى يَتَّبِعَ الشَّرْعَ الْمُحَمَّدِيَّ وَ الدِّينَ النَّبَوِيَّ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَ أَحْوَالِهِ كَمَا ثَبَتَ فى مسلم 1718عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»

(الرد هنا بمعنى المردود و معناه فهو باطل غير معتد به و هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام و هو من جوامع كلمه ﷺفإنه صريح فى رد كل البدع و المخترعات)

و هذه الآية فيها وجوب محبة الله و علاماتها و نتيجتها و ثمراتها فقال :–

ثمرة محبة الله 31-32

(فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ)

*و علامة الصدق اتباع رسوله ﷺفى جميع أحواله فى أقواله و أفعاله فى أصول الدين و فروعه فى الظاهر و الباطن

*فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبة الله تعالى و أحبه الله و غفر له ذنبه و رحمه و سدده فى جميع حركاته و سكناته

*و من لم يتبع الرسول فليس محبا لله تعالى لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله

فما لم يوجد ذلك دل على عدمها و أنه كاذب إن ادعاها مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها

–و بهذه الآية يوزن جميع الخلق فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم و حبهم لله و ما نقص من ذلك نقص.

*يَحْصُلُ لَكُمْ فَوْقَ مَا طَلَبْتُمْ مِنْ مَحَبَّتِكُمْ إِيَّاهُ .وَ هُوَ مَحَبَّتُهُ إِيَّاكُمْ وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْأَوَّلِ
كَمَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ الْعُلَمَاءِ:-لَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُحِبّ إِنَّمَا الشَّأْنُ أَنْ تُحَب-
وَ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ:-زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ فَابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ:-
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾

(وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ)بِاتِّبَاعِكُمْ لِلرَّسُولِ ﷺيَحْصُلُ لَكُمْ هَذَا كُلُّهُ بِبَرَكَةِ سِفَارَتِهِ31

(قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ)

*و هذا أمر من الله تعالى لعباده بأعم الأوامر و هو طاعته و طاعة رسوله التى يدخل بها الإيمان و التوحيد و ما هو من فروع ذلك من الأعمال و الأقوال الظاهرة و الباطنة

*بل يدخل فى طاعته و طاعة رسوله اجتناب ما نهى عنه لأن اجتنابه امتثالا لأمر الله هو من طاعته فمن أطاع الله و رسوله فأولئك هم المفلحون

(فَإِن تَوَلَّوْا)أعرضوا عن طاعة الله و رسوله فليس ثَمَّ أمرٌ يرجعون إليه إلا الكفر و طاعة كل شيطان مريد

(كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ)الحج: ٤

فلهذا قال:(فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ)

بل يبغضهم و يمقتهم و يعاقبهم أشد العقوبة و كأن فى هذه الآية الكريمة بيانا و تفسيرا لاتباع رسوله و أن ذلك بطاعة الله و طاعة رسوله هذا هو الاتباع الحقيقى 32ثم قال تعالى:-

قصة مريم 33-37

(إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ)اختار(ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ) على سائر المخلوقات

*يخبر تعالى باختيار من اختاره من أوليائه و أصفيائه و أحبابه:-

1-فأخبر أنه اصطفى آدم أى: اختاره على سائر المخلوقات فخلقه بيده و نفخ فيه من روحه و أمر الملائكة بالسجود له و أسكنه جنته و أعطاه من العلم و الحلم و الفضل ما فاق به سائر المخلوقات و لهذا فضل بنيه فقال تعالى:(وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا)الإسراء: ٧٠

2-و اصطفى نوحا فجعله أول رسول إلى أهل الأرض حين عبدت الأوثان و وفقه من الصبر و الاحتمال و الشكر و الدعوة إلى الله فى جميع الأوقات ما أوجب اصطفاءه و اجتباءه

*و أغرق الله أهل الأرض بدعوته و نجاه و من معه فى الفلك المشحون *و جعل ذريته هم الباقين

*و ترك عليه ثناء يذكر فى جميع الأحيان و الأزمان.

3-و اصطفى آل إبراهيم و هو إبراهيم خليل الرحمن الذى:-

اختصه الله بخلته و بذل نفسه للنيران و ولده للقربان و ماله للضيفان و دعا إلى ربه ليلا و نهارا و سرا و جهارا و جعله الله أسوة يقتدى به من بعده و جعل فى ذريته النبوة و الكتاب و يدخل فى آل إبراهيم جميع الأنبياء الذين بعثوا من بعده لأنهم من ذريته و قد خصهم بأنواع الفضائل ما كانوا به صفوة على العالمين

*و منهم سيد ولد آدم نبينا محمد ﷺفإن الله تعالى جمع فيه من الكمال ما تفرق فى غيره

-و فاق ﷺالأولين و الآخرين فكان سيد المرسلين المصطفى من ولد إبراهيم.

4-و اصطفى الله آل عمران و هو والد مريم بنت عمران أو والد موسى بن عمران عليه السلام

فهذه البيوت التى ذكرها الله هى صفوته من العالمين و تسلسل الصلاح و التوفيق بذرياتهم

فلهذا قال تعالى(ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ)أى:حصل التناسب و التشابه بينهم في الخلق و الأخلاق الجميلة

كما قال تعالى لما ذكر جملة من الأنبياء الداخلين فى ضمن هذه البيوت الكبار :-

(وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) الأنعام: ٨٧

(وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)يعلم من يستحق الاصطفاء فيصطفيه و من لا يستحق ذلك فيخذله و يرديه

-و دل هذا على أن هؤلاء اختارهم لما علم من أحوالهم الموجبة لذلك فضلا منه و كرما

و من الفائدة و الحكمة فى قصه علينا أخبار هؤلاء الأصفياء:-

1- أن نحـــــبهم و نقتدى بهم

2-و نسأل الله أن يوفـــــقنا لما وفقهم

3-و أن لا نزال نزرى أنفسنا بتأخرنا عنهم و عدم اتصافنا بأوصافهم و مزاياهم الجميلة

و هذا أيضا من لطفه بهم و إظهاره الثناء عليهم في الأولين والآخرين

4-و التنويه بشرفهم فلله ما أعظم جوده و كرمه و أكثر فوائد معاملته لو لم يكن لهم من الشرف إلا أن أذكارهم مخلدة و مناقبهم مؤبدة لكفى بذلك فضلا 34

*و لما ذكر فضائل هذه البيوت الكريمة ذكر ما جرى لمريم والدة عيسى و كيف لطف الله بها فى تربيتها و نشأتها فقال:-(إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ)والدة مريم بِنْتِ عِمْرَانَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَ هِيَ:-حَنَّة بِنْتُ فَاقُوذَ

لما حملت(رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا)خالصا لوجهك محررا لخدمتك و خدمة بيتك

(فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ)هذا العمل المبارك

(إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ)تسمع دعائى و تعلم نيتى و قصدي هذا و هى فى البطن قبل وضعها 35

(فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ)كأنها تشوفت أن يكون ذكرا ليكون أقدر على الخدمة و أعظم موقعا

*ففى كلامها نوع عذر من ربها فقال الله:-

(وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ)لا يحتاج إلى إعلامها بل علمه متعلق بها قبل أن تعلم أمها ما هى

(وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ) فيه دلالـــــة على :-

1-فضيل الذكر على الأنثى

2-و على التسمية وقت الولادة

3-و على أن للأم تسمية الولد إذا لم يكره الأب

(وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ)دعت لها و لذريتها أن يعيذهم الله من الشيطان الرجيم.

*البخارى3431 -عن أَبُي هُرَيْرَةَ ﷺ:-سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:-

«مَا مِنْ بَنِى آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ(يناله بيده من غير حاجز)الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ فَيَسْتَهِلُّ(يصوت عند ولادته)صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ غَيْرَ مَرْيَمَ وَ ابْنِهَا»ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ:-{وَ إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}[آل عمران: 36] 36

(فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ)جعلها نذيرة مقبولة و أجارها و ذريتها من الشيطان

(وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا)فى بدنها و خلقها و أخلاقها لأن الله تعالى قيض لها زكريا عليه السلام

(وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا)إياه وهذا من رفقه بها ليربيها على أكمل الأحوال فنشأت فى عبادة ربها و فاقت النساء و انقطعت لعبادة ربها و لزمت محرابها أى: مصلاها فكان

*وَ إِنَّمَا قَدَّرَ اللَّهُ كَوْنَ زَكَرِيَّا كَافِلَهَا لِسَعَادَتِهَا لِتَقْتَبِسَ مِنْهُ عِلْمًا جَمًّا نَافِعًا وَ عَمَلًا صَالِحًا وَ لِأَنَّهُ كَانَ زَوْجَ خَالَتِهَا وَ قِيلَ: زَوْجُ أُخْتِهَا كَمَا وَرَدَ فِى الصَّحِيحِ:-"فَإِذَا بِيحيى و عِيسَى وَ هُمَا ابْنَا الخَالَةِ"

(كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا)وَجَدَ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِى الشِّتَاءِ و العكس من غير كسب و لا تعب بل رزق ساقه الله إليها و كرامة أكرمها الله بها

(قَالَ)لها زكريا(يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ)فضلا و إحسانا

(إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)من غير حسبان من العبد و لا كسب

(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)الطلاق

*و فى هذه الآية دليل على إثبات كرامات الأولياء الخارقة للعادة كما قد تواترت الأخبار بذلك خلافا لمن نفى ذلك

*فلما رأى زكريا عليه السلام ما من الله به على مريم و ما أكرمها به من رزقه الهنيء الذى أتاها بغير سعى منها و لا كسب طمعت نفسه بالولد 37 فلهذا قال تعالى:-

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨
فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ
وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ
قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ٤٠ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ
إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١
وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٢
يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ
وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤
إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ
وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥

قصة زكريا 38-41

(هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ)
طاهرة الأخلاق طيبة الآداب لتكمل النعمة الدينية و الدنيوية بهم

(إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ)فاستجاب له دعاءه٣٨

(فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ)يتعبد و يتضرع لربه

(أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ بِكَلِمَةٖ)سترزق بولد اسمه يحيى(مُصَدِّقَۢا)يُصَدِّق بكلمة(مِّنَ ٱللَّهِ)هو عيسى بن مريم عليه السلام-
لأنه كان بكلمة الله

(وَسَيِّدٗا)يحصل له من الصفات الجميلة ما يكون به سيدا يرجع إليه فى الأمور

(وَحَصُورٗا)ممنوعا من إتيان النساء فليس فى قلبه لهن شهوة اشتغالا بخدمة ربه و طاعته

(وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)

39فأى بشارة أعظم من هذا الولد الذى حصلت البشارة بوجوده و بكمال صفاته و بكونه نبيا من الصالحين

فـــ(قَالَ)زكريا من شدة فرحه(رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ)
و كل واحد من الأمرين مانع من وجود الولد فكيف و قد اجتمعا فأخبره الله تعالى أن هذا خارق للعادة فقال:-

(قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ)

*فكما أنه تعالى قدر وجود الأولاد بالأسباب التى منها التناسل فإذا أراد أن يوجدهم من غير ما سبب فعل لأنه لا يستعصى عليه شيء فقال زكريا ﷺاستعجالا لهذا الأمر و ليحصل له كمال الطمأنينة40

(قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ)علامة على وجود الولد41

(قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ)ينحبس لسانك عن كلامهم من غير آفة و لا سوء فلا تقدر إلا على الإشارة و الرمز و هذا آية عظيمة أن لا تقدر على الكلام

*و فيه مناسبة عجيبة:–

و هى أنه كما يمنع نفوذ الأسباب مع وجودها فإنه يوجدها بدون أسبابها ليدل ذلك أن الأسباب كلها مندرجة في قضائه و قدره فامتنع من الكلام ثلاثة أيام

(وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ)أول النهار(وَٱلۡإِبۡكَٰرِ)آخر النهار

أمره الله أن يشكره و يكثر من ذكره بالعشى و الإبكار حتى إذا خرج على قومه من المحراب

(فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا) مريم 11

التبشير بولادة عيسى ﷺ 42-48

ينوه تعالى بفضيلة مريم و علو قدرها و أن الملائكة خاطبتها بذلك

(وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ)اختارك

*البخارى3432 -عن عَلِيّ ﷺيَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:-

«خَيْرُ نِسَائِهَا(نساء الدنيا في زمانها) مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَ خَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ»

*البخارى3411 - عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺقَالَ:-قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ:-

كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ (تناهى في جميع الفضائل التي تكون للجنس عامة)وَ لَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ:-

إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ

وَ إِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ(الخبز المكسر الذى وضع عليه اللحم و المرق)عَلَى سَائِرِ(باقى الأنواع من الطعام) الطَّعَامِ

(وَطَهَّرَكِ)من الآفات المنقصة

(وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ)

الاصطفاء الأول :–يرجع إلى الصفات الحميدة و الأفعال السديدة

و الاصطفاء الثانى:–يرجع إلى تفضيلها على سائر نساء العالمين إما على عالمى زمانها أو مطلقا

و إن شاركها أفراد من النساء فى ذلك كخديجة و عائشة و فاطمة لم يناف الاصطفاء المذكور42

*فلما أخبرتها الملائكة باصطفاء الله إياها و تطهيرها كان في هذا من النعمة العظيمة و المنحة الجسيمة ما يوجب لها القيام بشكرها فلهذا قالت لها الملائكة:–

(يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ)القنوت دوام الطاعة فى خضوع و خشوع

(وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ)خص السجود و الركوع لفضلهما و دلالتهما على غاية الخضوع لله

ففعلت مريم ما أمرت به شكرا لله تعالى و طاعة 43

*و لما أخبر الله نبيه بما أخبر به عن مريم و كيف تنقلت بها الأحوال التى قيضها الله لها و كان هذا من الأمور الغيبية التي لا تعلم إلا بالوحى قال:-

(ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ)نقصه (إِلَيْكَ)عليك

(وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ)عندهم

(إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ)

لما ذهبت بها أمها إلى من لهم الأمر على بيت المقدس فتشاحوا و تخاصموا أيهم يكفل مريم و اقترعوا عليها بأن ألقوا أقلامهم فى النهر فأيهم لم يجر قلمه مع الماء فله كفالتها فوقع ذلك لزكريا نبيهم و أفضلهم44

فلما أَخْبَرتَهُم يا محمد بهذه الأخبار التى لا علم لك و لا لقومك بها :-

دل على أنك صادق و أنك رسول الله حقا فوجب عليهم الانقياد لك و امتثال أوامرك كما قال تعالى:-

(وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ)القصص: ٤٤

(إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ)بأعظم بشارة (بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ)

سُمِي كلمة الله لأنه كان بالكلمة من الله لأن حالته خارجة عن الأسباب و جعله الله من آياته و عجائب مخلوقاته فأرسل الله جبريل ﷺإلى مريم فنفخ في جيب درعها فولجت فيها تلك النفخة الذكية من ذلك الملك الزكى فأنشأ الله منها تلك الروح الزكية فكان روحانيا نشأ من مادة روحانية فلهذا سمى روح الله

(ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ)

بِوَلَدٍ يَكُونُ وُجُودُهُ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ أَيْ: بِقَوْلِهِ لَهُ: "كُنْ" فَيَكُونُ وَ هَذَا تَفْسِيرُ قَوْلِهِ:-

{مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ}[آلِ عِمْرَانَ: 39]كَمَا ذَكَرَهُ الْجُمْهُورُ عَلَى مَا سَبَقَ بَيَانُهُ

(وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا)له الوجاهة العظيمة فى الدنيا:-

1-جعله الله أحد أولى العزم من المرسلين أصحاب الشرائع الكبار و الأتباع

2-و نشر الله له من الذكر ما ملأ ما بين المشرق و المغرب

(و)فى(وَٱلْءَاخِرَةِ)وجيها عند الله يشفع أسوة إخوانه من النبيين و المرسلين و يظهر فضله على أكثر العالمين

(وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ)فلهذا كان من المقربين إلى الله أقرب الخلق إلى ربهم بل هو ﷺمن سادات المقربين45

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾

(وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ)و هو رضيع قبل أوان الكلام

*البخارى 3436لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلَّا ثَلاَثَةٌ:-

1-عِيسَى

2-وَ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ......فَتَوَضَّأَ وَ صَلَّى ثُمَّ أَتَى الغُلاَمَ فَقَالَ:-مَنْ أَبُوكَ يَا غُلاَمُ؟ قَالَ: الرَّاعِي

3-وَ كَانَتِ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ فَقَالَتْ:- اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَ أَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ......)

و هذا غير التكليم المعتاد بل المراد يكلم الناس بما فيه صلاحهم وفلاحهم وهو تكليم المرسلين

ففي هذا إرساله و دعوته الخلق إلى ربهم و فى تكليمهم فى المهد آية عظيمة من آيات الله:–

1–ينتفع بها المؤمنون 2–و تكون حجة على المعاندين أنه رسول رب العالمين 3–و أنه عبد الله

4–و ليكون نعمة و براءة لوالدته مما رميت به

(وَكَهۡلٗا)الكهولة:سن ما بين الشباب و الشيخوخة.

(وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)يمن عليه بالصلاح من منَّ عليهم و يدخله فى جملتهم

و فى هذا عدة بشارات لمريم مع ما تضمن من التنويه بذكر المسيح عليه السلام 46

(قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ)

تريد لم يقربها ذكر لا للوقاع و لا لغيره و ذلك لعقمها و بعدها عن الرجال الأجانب.

–و الولد فى العادة لا يكون إلا من مس البشر و هذا استغراب منها لا شك فى قدرة الله تعالى: –

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ﴾وَ لَمْ يَقُلْ:"يَفْعَلُ" كَمَا فِي قِصَّةِ زَكَرِيَّا بَلْ نَصَّ هَاهُنَا عَلَى أَنَّهُ يَخْلُقُ:-

لِئَلَّا يَبْقَى شُبْهَةً ﴿مَا يَشَآءُۚ﴾وَ أَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:-

﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾فَلَا يَتَأَخَّرُ شَيْئًا بَلْ يُوجَدُ عَقِيبَ الْأَمْرِ بِلَا مُهْلَةٍ

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾القمر:٥٠

أَيْ:إِنَّمَا نَأْمُرُ مَرَّةً وَاحِدَةً لَا مَثْنَوِيَّةَ فِيهَا فَيَكُونُ ذَلِكَ الشَّيْءُ سَرِيعًا كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ .

–فأخبرها أن هذا أمر خارق للعادة خلقه من يقول لكل أمر أراده:– كـــــــن فيكــــــــون

–فمن تيقن ذلك زال عنه الاستغراب و التعجب

–و من حكمة البارى تعالى أن تدرج بأخبار العباد من الغريب إلى ما هو أغرب منه:–

1–فذكر وجود يحيى بن زكريا بين أبوين أحدهما كبير و الآخر عاقر

2–ثم ذكر أغرب من ذلك و أعجب و هو وجود عيسى عليه السلام من أم بلا أب

ليدل عباده أنه الفعال لما يريد و أنه ما شاء كان و ما لم يشاء لم يكن47

–ثم أخبر تعالى عن منته العظيمة على عبده ورسوله عيسى عليه السلام فقال:–﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾

1–يحتمل أن يكون المراد جنس الكتاب فيكون ذكر التوراة و الإنجيل تخصيصا لهما لشرفهما و فضلهما واحتوائهما على الأحكام و الشرائع التى يحكم بها أنبياء بني إسرائيل و التعليم لذلك يدخل فيه تعليم ألفاظه و معانيه

2–و يحتمل أن يكون المراد بقوله ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾الكتابة لأن الكتابة من أعظم نعم الله على عباده

*و لهذا امتن تعالى على عباده بتعليمهم بالقلم في أول سورة أنزلها فقال

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ العلق

﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾المراد بالحكمة:–معرفة أسرار الشرع و وضع الأشياء مواضعها

فيكون ذلك امتنانا على عيسى عليه السلام بتعليمه الكتابة والعلم والحكمة

و هذا هو الكمال للإنسان في نفسه. ﴿وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾

*ثم ذكر له كمالا آخر وفضلا زائدا على ما أعطاه الله من الفضائل فقال:–

قصة عيسى عليه السلام 49-59

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾

فأرسله الله إلى هذا الشعب الفاضل الذين هم أفضل العالمين فى زمانهم يدعوهم إلى الله و أقام له من الآيات ما دلهم أنه رسول الله حقا ونبيه صدقا و لهذا قال:–

(أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ)طيرا أى: أصوره على شكل الطير

(فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ)له روح تطير بإذن الله(وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ)و هو الذى يولد أعمى

(وَالْأَبْرَصَ)

ذو البرص و هو مرض عياء عجز عنه الطب القديم و الحديث و البرص:- بياض يصيب الجلد البشرى

(وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ)

تحبسونه و تخفونه عن أطفالكم من الطعام و غيره(فِي بُيُوتِكُمْ)

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)و أى: آية أعظم من :-

1-جعـــــل الجماد حيوانا 2-و إبـــــراء ذوى العاهات التى لا قدرة للأطباء فى معالجتها

3-و إحياء الموتى4-و الإخبار بالأمور الغيبية فكل واحدة من هذه الأمور آية عظيمة بمفردها

*فكيف بها إذا اجتمعت وصدق بعضها بعضها؟ فإنها موجبة للإيقان و داعية للإيمان49

(وَمُصَدِّقًا)موافقا(لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ)

أى:أتيت بجنس ما جاءت به التوراة و ما جاء به موسى ﷺ و علامة الصادق أن يكون خبره من جنس خبر الصادقين يخبر بالصدق و يأمر بالعدل من غير تخالف و لا تناقض

بخلاف من ادعى دعوى كاذبة خصوصا أعظم الدعاوى و هى دعوى النبوة

-فالكاذب فيها لا بد أن يظهر لكل أحد كذب صاحبها و تناقضه و مخالفته لأخبار الصادقين و موافقته لأخبار الكاذبين

-هذا موجب السنن الماضية و الحكمة الإلهية و الرحمة الربانية بعباده إذ لا يشتبه الصادق بالكاذب في دعوى النبوة أبدا بخلاف بعض الأمور الجزئية فإنه قد يشتبه فيها الصادق بالكاذب

*و أما النبوة فإنه يترتب عليها هداية الخلق أو ضلالهم و سعادتهم و شقاؤهم

*و معلوم أن الصادق فيها من أكمل الخلق و الكاذب فيها من أخس الخلق و أكذبهم و أظلمهم

فحكمة الله ورحمته بعباده أن يكون بينهما من الفروق ما يتبين لكل من له عقل

ثم أخبر عيسى ﷺأن شريعة الإنجيل شريعة فيها سهولة و يسرة فقال:-

(وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ)

فدل ذلك على أن أكثر أحكام التوراة لم ينسخها الإنجيل بل كان متمما لها ومقررا

(وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ)تدل على صدقى و وجوب اتباعى و هى ما تقدم من الآيات

و المقصود من ذلك كله(فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ)بفعل ما أمر به و ترك ما نهى عنه(وَأَطِيعُونِ)فإن طاعة الرسول طاعة لله50

(إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۗ)

استدل بتوحيد الربوبية الذى يقر به كل أحد على توحيد الإلهية الذى ينكره المشركون

–فكما أن الله هو الذى خلقنا و رزقنا و أنعم علينا نعما ظاهرة و باطنة فليكن هو معبودنا الذى نألهه بالحب

و الخوف و الرجاء و الدعاء و الاستعانة و جميع أنواع العبادة

–و فى هذا رد على النصارى القائلين بأن عيسى إله أو ابن الله و هذا إقراره ﷺبأنه عبد مدبر مخلوق كما قال

(قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا) مريم: ٣٠

(وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ) المائدة: ١١٦

(هَٰذَا)أى:عبادة الله و تقواه و طاعة رسوله

(صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ)موصل إلى الله و إلى جنته وما عدا ذلك فهى طرق موصلة إلى الجحيم51

(فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ)رأى منهم عدم الانقياد له و قالوا هذا سحر مبين و هموا بقتله و سعوا فى ذلك

(قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ)من يعاوننى و يقوم معى بنصرة دين الله

*وَ الظَّاهِرُ أَنَّهُ أَرَادَ مَنْ أَنْصَارِى فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ؟ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺيَقُولُ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ:-

-أحمد 14456 عَنْ جَابِرٍ ﷺقَالَ:-مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺبِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ
وَ مَجَنَّةَ وَ فِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًى يَقُولُ:-«مَنْ يُؤْوِينِى؟مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَ لَهُ الْجَنَّةُ؟»
حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ أَوْ مِنْ مِصْرَ - كَذَا قَالَ - فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ فَيَقُولُونَ:-
احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنُكَ وَ يَمْشِي بَيْنَ رِجَالِهِمْ وَ هُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ حَتَّى بَعَثَنَا اللَّهُ لَهُ مِنْ يَثْرِبَ
فَآوَيْنَاهُ وَصَدَّقْنَاهُ فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ وَ يُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ
حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ ثُمَّ ائْتَمَرُوا جَمِيعًا
فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَتْرُكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَ يَخَافُ؟
فَرَحَلَ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلًا حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ
وَ رَجُلَيْنِ حَتَّى تَوَافَيْنَا فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَامَ نُبَايِعُكَ قَالَ:-
«تُبَايِعُونِى عَلَى السَّمْعِ وَ الطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَ الْكَسَلِ وَ النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ
وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ وَ عَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي فَتَمْنَعُونِى إِذَا قَدِمْتُ
عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَ أَزْوَاجَكُمْ وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ لَكُمُ الْجَنَّةُ»
قَالَ:فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ وَ أَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ وَ هُوَ مِنْ أَصْغَرِهِمْ فَقَالَ:-
رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَّا وَ نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
وَ إِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً وَ قَتْلُ خِيَارِكُمْ وَ أَنَّ تَعَضَّكُمْ السُّيُوفُ
فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ جَبِينَةً فَبَيِّنُوا ذَلِكَ

فَهُوَ أَعْذَرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ قَالُوا:-أَمِطْ عَنَّا يَا أَسْعَدُ فَوَاللَّهِ لَا نَدَعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا وَلَا نَسْلُبُهَا أَبَدًا قَالَ:-
فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ فَأَخَذَ عَلَيْنَا وَ شَرَطَ وَ يُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ

*حَتَّى وَجَدَ الْأَنْصَارَ فَآوَوْهُ وَ نَصَرُوهُ وَ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ فَآسَوْهُ وَ مَنَعُوهُ مِنَ الْأَسْوَدِ وَ الْأَحْمَرِ.

وَ هَكَذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ انْتَدَبَ لَهُ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ فَآمَنُوا بِهِ وَ آزَرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ. وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُمْ: -

{قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَرَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}

-كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ فى البخارى

7261 -عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺقَالَ: نَدَبَ النَّبِيُّ ﷺالنَّاسَ يَوْمَ الخَنْدَقِ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ثَلاَثًا فَقَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ وَ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ»

(قَالَ الْحَوَارِيُّونَ)و هم الأنصار –جمع حوارى و المراد بهم أصفياؤه و أصحابه.

*كانوا اثنى عشر رجلاً و سمى الناصر للنبى حواريا لبياض قلبه و صفاء روحه و الحور لغة:-البياض و الحوارى: الخبز الأبيض.

(نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ)أى:انتدبوا معه و قاموا بذلك.

(ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)

*ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ مَلَأِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيمَا هَمُّوا بِهِ مِنَ الْفَتْكِ بِعِيسَى عليه السلام وَ إِرَادَتِهِ بِالسُّوءِ و الصَّلب حِينَ تَمَالَؤوا عَلَيْهِ وَ وَشَوا بِهِ إِلَى مَلِكِ ذَلِكَ الزَّمَانِ وَ كَانَ كَافِرًا

1-فأنهَوا إِلَيْهِ أَنَّ هَاهُنَا رَجُلًا يُضِلُّ النَّاسَ

2-وَ يَصُدُّهُمْ عَنْ طَاعَةِ الْمَلِكِ

3-وَ يُفَنِّدُ الرَّعَايَا

4-وَ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَبِ وَابْنِهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَقَلَّدُوهُ فِي رِقَابِهِمْ وَ رَمَوْهُ بِهِ مِنَ الْكَذِبِ

5-وَ أَنَّهُ وَلَدُ زَانِيَةٍ حَتَّى اسْتَثَارُوا غَضَبَ الْمَلِكِ فَبَعَثَ فِي طَلَبِهِ مَنْ يَأْخُذُهُ وَ يَصْلُبُهُ و يُنَكِّل بِهِ فَلَمَّا أَحَاطُوا بِمَنْزِلِهِ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ ظَفِروا بِهِ نَجَّاهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَ رَفَعَهُ مِنْ رَوْزَنَة ( )ذَلِكَ الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ وَ أَلْقَى اللَّهُ شَبَهَهُ عَلَى رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ عِنْدَهُ فِي الْمَنْزِلِ

فَلَمَّا دَخَلَ أُولَئِكَ اعْتَقَدُوهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ عِيسَى عليه السلام فَأَخَذُوهُ وَ أَهَانُوهُ وَ صَلَبُوهُ وَ وَضَعُوا عَلَى رَأْسِهِ الشَّوْكَ.وَ كَانَ هَذَا مِنْ مَكْرِ اللَّهِ بِهِمْ فَإِنَّهُ نَجَّى نَبِيَّهُ وَ رَفَعَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ وَ تَرَكَهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ يَعْمَهُونَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ قَدْ ظَفِرُوا بطَلَبَتِهِم وَ أَسْكَنَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ قَسْوَةً وَ عِنَادًا لِلْحَقِّ مُلَازِمًا لَهُمْ وَ أَوْرَثَهُمْ ذِلَّةً لَا تُفَارِقُهُمْ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:(وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) آل عمران: ٥٤ 52

تكملة المعاجم العربية: تستعمل اليوم بمعنى فجوة تترك فى جانب السقف لينشل التراب منها ثم تسد متى انتهى العمل (محيط المحيط).

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

قالوا(رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ)أى:الشهادة النافعة

و هى الشهادة بتوحيد الله و تصديق رسوله مع القيام بذلك53

*فلما قاموا مع عيسى بنصر دين الله و إقامة شرعه آمنت طائفة من بنى إسرائيل و كفرت طائفة فاقتتلت الطائفتان فأيد الله الذين آمنوا بنصره على عدوهم فأصبحوا ظاهرين فلهذا قال تعالى هنا:-

(وَمَكَرُواْ)أى: الكفار بإرادة قتل نبى الله و إطفاء نوره

(وَمَكَرَ ٱللَّهُ)بهم جزاء لهم على مكرهم

(وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ)رد الله كيدهم فى نحورهم فانقلبوا خاسرين54

(إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ)

*اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} فَقَالَ قَتَادَةُ و غَيْرُهُ:
هَذَا مِنَ الْمُقَدَّمِ و الْمُؤَخَّرِ تَقْدِيرُهُ:-إِنِّي رَافِعُكَ إِلَيَّ و مُتَوَفِّيكَ يعني بعد ذلك.
وَ قَالَ الْأَكْثَرُونَ: الْمُرَادُ بِالْوَفَاةِ هَاهُنَا: النَّوْمُ كقوله{وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ} [الأَنْعَامِ: 60]
وَ قَالَ تَعَالَى:{اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِى قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الزُّمَرِ: 42]
وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺيقول-إِذَا قَامَ مِنَ النَّوْمِ:-(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا و إِلَيْهِ النُّشُورُ) البخارى6312
-فرفع الله عبده و رسوله عيسى إليه و ألقى شبهه على غيره فأخذوا من ألقى شبهه عليه فقتلوه و صلبوه

و باءوا بالإثم العظيم بنيتهم أنه رسول الله قال الله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ النساء: ١٥٧

و في هذه الآية دليل على علو الله تعالى و استوائه على عرشه حقيقة كما دلت على ذلك النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية التي تلقاها أهل السنة بالقبول و الإيمان و التسليم و كان الله عزيزا قويا قاهرا

–و من عزته أن كف بني إسرائيل بعد عزمهم الجازم وعدم المانع لهم عن قتل عيسى عليه السلام كما قال تعالى:–

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ المائدة: ١١٠

–حكيم يضع الأشياء مواضعها وله أعظم حكمة في إلقاء الشبه على بني إسرائيل فوقعوا في الشبه كما قال تعالى ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ النساء: ١٥٧

(وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا)بِرَفْعِي إِيَّاكَ إِلَى السَّمَاءِ

ثم قال تعالى:(وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)

وتقدم أن الله أيد المؤمنين منهم على الكافرين ثم إن النصارى المنتسبين لعيسى عليه السلام لم يزالوا قاهرين لليهود لكون النصارى أقرب إلى اتباع عيسى من اليهود حتى بعث الله نبينا محمدا ﷺ فكان المسلمون هم المتبعين لعيسى حقيقة فأيدهم الله ونصرهم على اليهود والنصارى وسائر الكفار

–وإنما يحصل في بعض الأزمان إدالة الكفار من النصارى وغيرهم على المسلمين حكمة من الله وعقوبة على تركهم لاتباع الرسول ﷺ (ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ)مصير الخلائق كلها

(فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)

كل يدعى أن الحق معه و أنه المصيب و غيره مخطئ و هذا مجرد دعاوى تحتاج إلى برهان55

ثم أخبر عن حكمه بينهم بالقسط و العدل فقال:–(فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا)أى: بالله و آياته ورسله

(فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا):–

فهو ما أصابهم الله به من القوارع و العقوبات المشاهدة و القتل و الذل و غير ذلك مما هو نموذج من عذاب الآخرة

و أما عذاب (وَالْآخِرَةِ):–فهو الطامة الكبرى و المصيبة العظمى ألا و هــو :–

1–عذاب النار

2–و غضب الجبار

3–و حرمانهم ثواب الأبرار

(وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ)ينصرونهم من عذاب الله لا من زعموا أنهم شفعاء لهم عند الله و لا ما اتخذوهم أولياء من دونه و لا أصدقائهم و أقربائهم و لا أنفسهم ينصرون.(وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ)الرعد: ٣٤.راق:مانع56

(وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟)بالله و ملائكته و كتبه و رسله و البعث بعد الموت و غير ذلك مما أمر الله بالإيمان به

(وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)القلبية و القولية و البدنية التى جاءت بشرعها المرسلون و قصدوا بها رضا رب العالمين

(فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ)

دل ذلك على أنه يحصل لهم فى الدنيا ثواب لأعمالهم مـــــن:-الإكرام و الإعزاز و النصر و الحياة الطيبة

و إنما توفية الأجور يوم القيامة يجدون ما قدموه من الخيرات محضرا موفرا فيعطى منهم كل عامل أجر عمله

و يزيدهم من فضله و كرمه(وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ)بل يبغضهم و يحل عليهم سخطه و عذابه57

(ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ)

هَذَا الَّذِي قَصَصْنَاه عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فِي أَمْرِ عِيسَى وَ مَبْدَأِ مِيلَادِهِ وَ كَيْفِيَّةِ أَمْرِهِ هُوَ مِمَّا قَالَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ أَوْحَاهُ إِلَيْكَ وَ نَزَّلَهُ عَلَيْكَ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فَلَا مِرْيَةَ فِيهِ وَلَا شَكَّ

*كقوله(ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ) مريم: ٣٤

و هذا منة عظيمة على رسوله محمد ﷺو على أمته حيث أنزل عليهم هذا الذكر الحكيم المحكم المتقـــن:-

المفصل للأحكام و الحلال و الحرام و إخبار الأنبياء الأقدمين

و ما أجرى الله على أيديهم من الآيات البينات و المعجزات الباهرات فهذا القرآن يقص علينا كل ما ينفعنا من الأخبار و الأحكام

-فيحصل فيها العلم و العبرة و تثبيت الفؤاد ما هو من أعظم رحمة رب العباد ثم قال تعالى:-

(إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ)فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَ لَا أُمٍّ

بَلْ(خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)

وَ الَّذِي خَلَقَ آدَمَ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ عِيسَى بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَ الْأَحْرَى وَ إِنْ جَازَ ادِّعَاءُ الْبُنُوَّةِ فِي عِيسَى بِكَوْنِهِ مَخْلُوقًا مِنْ غَيْرِ أَبٍ فَجَوَازُ ذَلِكَ فِي آدَمَ بِالطَّرِيقِ الْأَوْلَى وَ مَعْلُومٌ بِالِاتِّفَاقِ أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ فَدَعْوَاهَا فِي عِيسَى أَشَدُّ بُطْلَانًا وَ أَظْهَرُ فَسَادًا.

*وَ لَكِنَّ الرَّبَّ عَزّ وَجَلَّ أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ قُدْرَتَهُ لِخَلْقِهِ حِينَ خَلَقَ آدَمَ لَا مِنْ ذَكَرٍ وَ لَا مِنْ أُنْثَى وَ خَلَقَ حَوَّاءَ مِنْ ذَكَرٍ بِلَا أُنْثَى وَ خَلَقَ عِيسَى مِنْ أُنْثَى بِلَا ذَكَرٍ كَمَا خَلَقَ بَقِيَّةَ الْبَرِيَّةَ مَنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثَى

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ مَرْيَمَ:{وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ}[مَرْيَمَ: 21] .

-يخبر تعالى محتجا على النصارى الزاعمين بعيسى عليه السلام ما ليس له بحق بغير برهان و لا شبهة

–بل بزعمهم أنه ليس له والد استحق بذلك أن يكون ابن الله أو شريكا لله في الربوبية و هذا ليس بشبهة فضلا أن يكون حجة لأن خلقه كذلك من آيات الله الدالة على تفرد الله بالخلق و التدبير و أن جميع الأسباب طوع مشيئته و تبع لإرادته فهو على نقيض قولهم أدل و على أن أحدا لا يستحق المشاركة لله بوجه من الوجوه أولى

و مع هذا فآدم عليه السلام خلقه الله من تراب لا من أب و لا أم 59

هذا الذي أخبرناك به من شأن المسيح عليه السلام هو (ٱلْحَقُّ)الذى فى أعلى رتب الصدق لكونه(مِن رَّبِّكَ) الذى من جملة تربيته الخاصة لك و لأمتك أن قص عليكم ما قص من أخبار الأنبياء عليهم السلام.

(فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ)الشاكين فى شيء مما أخبرك به ربك

و فى هذه الآية و ما بعدها دليل على قاعدة شريفة و هو :–

أن ما قامت الأدلة على أنه حق و جزم به العبد من مسائل العقائد و غيرها

←فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل

←و كل شبهة تورد عليه فهي فاسدة سواء قدر العبد على حلها أم لا فلا يوجب له عجزه عن حلها القدح فيما علمه لأن ما خالف الحق فهو باطل قال تعالى (فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ) يونس: ٣٢

و بهذه القاعدة الشرعية تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون و يرتبها المنطقيون إن حلها الإنسان فهو تبرع منه و إلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلته و يدعو إليه 60

أهل الكتاب 60-91

(فَمَنْ حَآجَّكَ)جادلك في عيسى عليه السلام و زعم أنه فوق منزلة العبودية بل رفعه فوق منزلته

آيات المباهلة مع نصارى نجران 60-64

(مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ)

بأنه عبد الله و رسوله و بينت لمن جادلك ما عندك من الأدلة الدالة على أنه عبد أنعم الله عليه دل على:–

عناد من لم يتبعك فى هذا العلم اليقينى

←فلم يبق في مجادلته فائدة تستفيدها و لا يستفيدها هو لأن الحق قد تبين فجداله فيه جدال معاند مشاق لله و رسوله قصده اتباع هواه لا اتباع ما أنزل الله فهذا ليس فيه حيلة

(فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ)نتجه إلى الله بالدعاء

*فأمر الله نبيه أن ينتقل إلى مباهلته و ملاعنته فيدعون الله و يبتهلون إليه

(فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ)

–أن يجعل لعنته و عقوبته على الكاذب من الفريقين هو و أحب الناس إليه من الأولاد و الأبناء و النساء

–فدعاهم النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فتولوا و أعرضوا و نكلوا

–و علموا أنهم إن لاعنوه رجعوا إلى أهليهم و أولادهم فلم يجدوا أهلا و لا مالا و عوجلوا بالعقوبة فرضوا بدينهم مع جزمهم ببطلانه و هذا غاية الفساد و العناد

*وَ كَانَ سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْمُبَاهَلَةِ وَ مَا قَبْلَهَا مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى هُنَا فِي وفد نجرانِ أن النصارى حين قَدِمُوا فَجعَلُوا يُحَاجّون فِي عِيسَى وَ يَزْعُمُونَ فِيهِ مَا يَزْعُمُونَ مِنَ الْبُنُوَّةِ وَ الْإِلَهِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ صَدْرَ هَذِهِ السُّورَةِ رَدا عَلَيْهِمْكَمَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ

*البخارى4380 -عَنْ حُذَيْفَةَ ﵁قَالَ:جَاءَ العَاقِبُ(صاحب مشورتهم و اسمه عبد المسيح) وَ السَّيِّدُ(رئيسهم واسمه الأيهم)صَاحِبَا نَجْرَانَ(من أكابر النصارى فيها)إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺيُرِيدَانِ أَنْ يُلاَعِنَاهُ(يباهلاه بأن يدعو كل فريق بالعذاب على المبطل)قَالَ:-
فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِه: لاَ تَفْعَلْ فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلاَعَنَّا لاَ نُفْلِحُ نَحْنُ وَ لاَ عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا
قَالاَ:-إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا(الذى طلبته منا من الجزية)وَ ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا وَ لاَ تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا.
فَقَالَ «لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ»فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَقَالَ:-
«قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ» فَلَمَّا قَامَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ»61

فلهذا قال تعالى:–

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٢﴾

فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ

أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ

فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ

وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ

فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾

مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾

إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾

وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٩﴾

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٧٠﴾

و أخبر تعالى (إِنَّ هَٰذَا) الذي قصه الله على عباده (لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ)

و كل قصص يقص عليهم مما يخالفه و يناقضه فهو باطل (وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ)

فهو المألوه المعبود حقا الذى لا تنبغى العبادة إلا له و لا يستحق غيره مثقال ذرة من العبادة

(وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ)الذى قهر كل شيء و خضع له كل شيء

(ٱلۡحَكِيمُ)الذى يضع الأشياء مواضعها و له الحكمة التامة فى ابتلاء المؤمنين بالكافرين يقاتلونهم و يجادلونهم

و يجاهدونهم بالقول والفعل 62

(فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ) فيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة.

الْمُفْسِدُ:-مِنْ عَدَلَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِهِ وَ سَيَجْزِيهِ عَلَى ذَلِكَ شَرَّ الْجَزَاءِ

وَ هُوَ الْقَادِرُ الَّذِى لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ وَ بِحَمْدِهِ وَ نَعُوذُ بِهِ مِنْ حُلُولِ نِقَمِهِ 63

(قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ)لأهل الكتاب من اليهود و النصارى

(تَعَالَوۡاْ)هلموا نجتمع(إِلَىٰ كَلِمَةٖ)وَ الْكَلِمَةُ تُطلَقُ عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُفِيدَةِ كَمَا قَالَ هَاهُنَا.ثمَّ وَصَفَهَا بِقَوْلِهِ:-

(سَوَآءِۭ)عَدْلٌ وَ نَصَفٌ(بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ)نَسْتَوِى نَحْنُ وَ أَنْتُمْ فِيهَا.

*و هى الكلمة التى اتفق عليها الأنبياء و المرسلون و لم يخالفها إلا المعاندون و الضالون ليست مختصة بأحدنا دون الآخر بل مشتركة بيننا و بينكم و هذا من العدل في المقال و الإنصاف فى الجدال

ثم فسرها بقوله(أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا)

فنفرد الله بالعبادة و نخصه بالحب و الخوف و الرجاء و لا نشرك به نبيا و لا ملكا و لا وليا و لا صنما و لا وثنا و لا حيوانا و لا جمادا

(وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابًا)لا يدين بعضنا لبعض بالطاعة (مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ)

–بل تكون الطاعة كلها لله و لرسله فلا نطيع المخلوقين في معصية الخالق لأن ذلك جعل للمخلوقين فى منزلة الربوبية فإذا دعى أهل الكتاب أو غيرهم إلى ذلك فإن أجابوا كانوا مثلكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم

(فَإِن تَوَلَّوۡاْ)فهم معاندون متبعون أهواءهم(فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ)

*البخارى و فى رسالة رسول الله الى هرقل :عن أبي سفيان ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺالَّذِى بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ:-
فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ "
وَ{يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَوَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}

*و لعل الفائدة فى ذلك أنكم إذا قلتم لهم ذلك و أنتم أهل العلم على الحقيقة:–

1–كان ذلك زيادة على إقامة الحجة عليهمكما استشهد تعالى بأهل العلم حجة على المعاندين

2–و أيضا فإنكم إذا أسلمتم أنتم و آمنتم فلا يعبأ الله بعدم إسلام غيركم لعدم زكائهم و لخبث طويتهم

كما قال تعالى (قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا) الإسراء: ١٠٧

3–و أيضا فإن فى ورود الشبهات على العقيدة الإيمانية مما يوجب للمؤمن أن يجدد إيمانه و يعلن بإسلامه إخبارا بيقينه و شكرا لنعمة ربه64

(يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ)تجادلون

(فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ)ادعى اليهود أن إبراهيم كان يهوديا و النصارى أنه نصرانى

(وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ)٦٥

صفات أهل الكتاب و الرد عليهم 65-85

رد تعالى محاجتهم و مجادلتهم من ثــــلاثة أوجـــــه:–

أحدها:-(هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ)جادلتم فى إبراهيم جدال

(فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ

فى أمر ليس لهم به علم فلا يمكن لهم و لا يسمح لهم أن يحتجوا و يجادلوا فى أمر هم أجانب عنه و هم جادلوا فى أحكام التوراة و الإنجيل سواء أخطأوا أم أصابوا فليس معهم المحاجة فى شأن إبراهيم

(وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ)66

الوجه الثانى:-أن اليهود ينتسبون إلى أحكام التوراة و النصارى ينتسبون إلى أحكام الإنجيل و التوراة و الإنجيل ما أنزلا إلا من بعد إبراهيم

فكيف ينسبون إبراهيم إليهم و هو قبلهم متقدم عليهم فهل هذا يعقل؟! فلهذا قال:-

(أَفَلَا تَعۡقِلُونَ)فلو عقلتم ما تقولون لم تقولوا ذلك 65

الوجه الثالث:-(مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا)الله تعالى برأ خليله من اليهود و النصارى

(وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ)برأه من المشركين67

(إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ) من آمن به من أمته

(وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ)محمد ﷺ

(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)معه فهم الذين اتبعوه و هم أولى به من غيرهم و الله تعالى وليهم و ناصرهم و مؤيدهم

*و أما من نبذ ملته وراء ظهره كاليهود و النصارى و المشركين فليسوا من إبراهيم و ليس منهم و لا ينفعهم مجرد الانتساب الخالى من الصواب

(وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)

و قد اشتمـــــــــلت هذه الآيـــــــات على:-

1-النهى عن المحاجة و المجادلة بغير علم

2-و أن من تكلم بذلك فهو متكلم فى أمر لا يمكن منه و لا يسمح له فيه

3-و فيها أيضا حث على علم التاريخ

و أنه طريق لرد كثير من الأقوال الباطلة و الدعاوى التى تخالف ما علم من التاريخ68

(وَدَّت طَّآئِفَةٞ)يحذر تعالى عباده المؤمنين عن مكر هذه الطائفة الخبيثة(مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ)

و أنهم يودون (لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ)قال تعالى

(وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ)البقرة: ١٠٩

و من المعلوم أن من ود شيئا سعى بجهده على تحصيل مراده فهذه الطائفة تسعى و تبذل جهدها فى رد المؤمنين و إدخال الشبه عليهم بكل طريق يقدرون عليه و لكن من لطف الله أنه لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

فلهذا قال تعالى (وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ)

فسعيهم فى إضلال المؤمنين زيادة فى ضلال أنفسهم و زيادة عذاب لهم قال

تعالى(ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ) النحل: ٨٨

(وَمَا يَشْعُرُونَ)بذلك أنهم يسعون فى ضرر أنفسهم و أنهم لا يضرونكم شيئا69

(يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ)التوراة و الإنجيل

(لِمَ تَكْفُرُونَ)تجحدون

(بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ)التى أنزلها على رسله فى كتبهم

و فيها أن محمدًا ﷺهو الرسول المنتظر و أن ما جاءكم به هو الحق

–أى:ما الذى دعاكم إلى الكفر بآيات الله مع علمكم بأن ما أنتم عليه باطل و أن ما جاءكم به محمد ﷺ

هو الحق الذى لا تشكون فيه

(وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ)بذلك؟و لكنكم تنكرونه.

*بل تشهدون به و يُسر به بعضكم إلى بعض في بعض الأوقات فهذا نهيهم عن ضلالهم70

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾

ثم وبخهم على إضلالهم الخلق فقال:-

(لِمَ تَلۡبِسُونَ)تخلطون(ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ)فى كتبكم بما حرفتموه و كتبتموه من الباطل بأيديكم

(وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ)بما فِي كُتُبِكُمْ مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ ﷺوَ أَنْتُمْ تَعرِفُونَ ذَلِكَ وَ تَتَحَقَّقُونَهُ.

-فوبخهم على لبس الحق بالباطل و على كتمان الحق لأنهم بهذين الأمرين يضلون من انتسب إليهم فإن العلماء إذا لبسوا الحق بالباطل فلم يميزوا بينهما بل أبقوا الأمر مبهما و كتموا الحق الذى يجب عليهم إظهاره ← 1-ترتب على ذلك من خفاء الحق 2-و ظهور الباطل ما ترتب

3-و لم يهتد العوام الذين يريدون الحق لمعرفته حتى يؤثروه

*و المقصود من أهل العلم :

1-أن يظهروا للناس الحق و يعلنوا به 2-و يميزوا الحق من الباطل

3-و يظهروا الخبيث من الطيب و الحلال و الحرام و العقائد الصحيحة من العقائد الفاسدة

ليهتدى المهتدون و يرجع الضالون و تقوم الحجة على المعاندين قال تعالى :-

(وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ) آل عمران 71

*ثم أخبر تعالى عن ما همت به هذه الطائفة الخبيثة و إرادة المكر بالمؤمنين

(وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)على وجه المكر و الكيد

(وَجۡهَ)أول(ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ)فإذا كان آخر النهار فاخرجوا منه

*هَذِهِ مَكِيدَةٌ أَرَادُوهَا ليلْبسُوا عَلَى الضُّعَفَاءِ مِنَ النَّاسِ أمْر دِينِهِمْ وَ هُوَ أَنَّهُمُ اشْتَوروا بَيْنَهُمْ أَنْ يُظْهِرُوا الْإِيمَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ و يُصَلّوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ صَلَاةَ الصُّبْحِ فَإِذَا جَاءَ آخِرُ النَّهَارِ ارْتَدُّوا إِلَى دِينِهِمْ لِيَقُولَ الْجَهَلَةُ مِنَ النَّاسِ:-إِنَّمَا رَدّهم إِلَى دِينِهِمُ اطّلاعهُم عَلَى نَقِيصَةٍ وَ عَيْبٍ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَ لِهَذَا قَالُوا:-

(لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ)عن دينهم

فيقولون لو كان صحيحا لما خرج منه أهل العلم و الكتاب هذا الذى أرادوه عجبا بأنفسهم و ظنا أن الناس

سيحسنون ظنهم بهم و يتابعونهم على ما يقولونه و يفعلونه و لكن يأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون72

(و)قال بعضهم لبعض(وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ)لا تثقوا و لا تطمئنوا و لا تصدقوا(إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ)و اكتموا أمركم

(أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ)

لَا تُظْهِرُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ لِلْمُسْلِمِينَ فَيَتَعَلَّمُوهُ مِنْكُمْ وَ يُسَاوُوكُمْ فِيهِ وَ يَمْتَازُوا بِهِ عَلَيْكُمْ لِشِدَّةِ الْإِيمَانِ بِهِ

(أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ)

يَتَّخِذُوهُ حُجَّةً عَلَيْكُمْ مِمَّا بِأَيْدِيكُمْ فَتَقُومُ بِهِ عَلَيْكُمُ الدَّلَالَةُ و تَتَرَكَّب الحجةُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.

*أو حاجوكم عند ربكم و شهدوا عليكم أنها قامت عليكم الحجة و تبين لكم الهدى فلم تتبعوه

*فالحاصل أنهم جعلوا عدم إخبار المؤمنين بما معهم من العلم قاطعا عنهم العلم

*لأن العلم بزعمهم لا يكون إلا عندهم و موجبا للحجة عليهم فرد الله عليهم

(قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ)فمادة الهدى من الله تعالى لكل من اهتدى فإن الهدى إما علم الحق أو إيثارة

و لا علم إلا ما جاءت به رسل الله و لا موفق إلا من وفقه الله و أهل الكتاب لم يؤتوا من العلم إلا قليلا

*و أما التوفيق فقد انقطع حظهم منه لخبث نياتهم و سوء مقاصدهم

*و أما هذه الأمة فقد حصل لهم و لله الحمد من هداية الله من العلوم

و المعارف مع العمل بذلك ما فاقوا به و برزوا على كل أحد فكانوا هم الهداة الذين يهدون بأمر الله

و هذا من فضل الله عليها و إحسانه العظيم لهذا قال تعالى:–

(قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ)الذى يحسن على عباده بأنواع الإحسان

(يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ)ممن أتى بأسبابه

(وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ)الفضل كثير الإحسان

(عَلِيمٞ)بمن يصلح للإحسان فيعطيه و من لا يستحقه فيحرمه إياه.

*الأمورُ كُلّهَا تَحْتَ تَصْرِيفِهِ -وَ هُوَ الْمُعْطِي الْمَانِعُ يَمُنّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بِالْإِيمَانِ وَ الْعِلْمِ وَ التَّصَوُّرِ التَّامِّ

-وَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ و يُعمى بَصَرَهُ وَ بَصِيرَتَهُ وَ يَخْتِمُ عَلَى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ يَجْعَلُ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً

وَ لَهُ الْحُجَّةُ وَ الْحِكْمَةُ73

(يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ)المطلقة التى تكون فى الدنيا متصلة بالآخرة و هى نعمة الدين و متمماته(مَن يَشَآءُ)

*اخْتَصَّكُمْ-أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ-مِنَ الْفَضْلِ بِمَا لَا يُحَد وَ لَا يُوصَف بِمَا شَرَّفَ بِهِ نَبِيَّكُمْ مُحَمَّدًا ﷺعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَ هَدَاكُمْ بِهِ لِأَكْمَلِ الشَّرَائِعِ.

(وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ)الذى لا يصفه الواصفون و لا يخطر بقلب بشر بل وصل فضله و إحسانه إلى ما

وصل إليه علمه ربنا وسعت كل شيء رحمة و علما74

(وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ)يخبر تعالى عن حال أهل الكتاب في الوفاء و الخيانة فى الأموال

*لما ذكر خيانتهم في الدين و مكرهم و كتمهم الحق فأخبر أن منهم الخائن و الأمين

(مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ)و هو المال الكثير

(يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ)و هو على أداء ما دونه من باب أولى

(وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ)

و هو على عدم أداء ما فوقه من باب أولى و أحرى.وَ إِذَا كَانَ هَذَا صَنِيعُهُ فِي الدِّينَارِ

(إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا)بِالْمُطَالَبَةِ وَالْمُلَازَمَةِ وَ الْإِلْحَاحِ فِي اسْتِخْلَاصِ حَقِّكَ

*البخارى 2291 -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:-

أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَالَ:-

ائتِنِى بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا قَالَ:-فَأْتِنِى بِالْكَفِيلِ

قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا قَالَ:-صَدَقْتَ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ

ثُمَّ التَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا

فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَ صَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ

فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّى كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِى كَفِيلاً فَقُلْتُ:-كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا فَرَضِىَ بِكَ

وَ سَأَلَنِى شَهِيدًا فَقُلْتُ:-كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا فَرَضِىَ بِكَ وَ أَنِّى جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِى لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ

وَ إِنِّى أَسْتَوْدِعُكَهَا فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ ثُمَّ انْصَرَفَ وَ هُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ

فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِى كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ

حَطَبًا فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى بِالْأَلْفِ دِينَارٍ

فَقَالَ:-وَ اللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِى أَتَيْتُ فِيهِ

قَالَ:-هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ

قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِى بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ فَانْصَرِفْ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا "

*و الذى أوجب لهم الخيانة و عدم الوفاء إليكم بأنهم زعموا أنه (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟)عليهم

(لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ)العرب(سَبِيلٌ)

أي: ليس عليهم إثم في عدم أداء أموالهم إليهم لأنهم بزعمهم الفاسد و رأيهم الكاسد قد احتقروهم غاية الاحتقار و رأوا أنفسهم في غاية العظمة و هم الأذلاء الأحقرون فلم يجعلوا للأميين حرمةو أجازوا ذلك

فجمـــــعوا بيـــــن :-

1-أكـــــل الحرام

2-و اعتقــــاد حله و كان هذا كذبا على الله لأن العالم الذي يحلل الأشياء المحرمة قد كان عند الناس معلوم أنه يخبر عن حكم الله ليس يخبر عن نفسه وذلك هو الكذب

فلهذا قال(وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)و هذا أعظم إثما من القول على الله بلا علم 75

ثم رد عليهم زعمهم الفاسد فقال:-

(بَلَى)ليس الأمر كما تزعمون أنه ليس عليكم في الأميين حرج بل عليكم في ذلك أعظم الحرج و أشد الإثم

(مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ)بما عاهد الله عليه من أداء الأمانة و الإيمان به و برسله و التزم هديه و شرعه

*و العهد يشمل العهد الذى بين العبد و بين ربه و هو جميع ما أوجبه الله على العبد من حقه و يشمل العهد الذي بينه و بين العباد

(وَاتَّقَى)التقوى تكون في هذا الموضع ترجع إلى اتقاء المعاصى التى بين العبد و بين ربه و بينه و بين الخلق

-فمن كان كذلك فإنه من المتقين الذين يحبهم الله تعالى سواء كانوا من الأميـــــن أو غيرهم

فمن قال ليس علينا في الأميين سبيل فلم يوف بعهده و لم يتق الله فلم يكن ممن يحبه الله بل ممن يبغضه الله

*و إذا كان الأميون قد عُرفوا :-

1-بـــــوفاء العهود

2-و بتقــــــوى الله

3-و عدم التجـــــــرئ على الأموال المحترمة

(فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)

كانوا هم المحبوبين لله المتقين الذين أعدت لهم الجنة و كانوا أفضل خلق الله و أجلهم76

بخلاف الذين يقولون ليس علينا في الأميين سبيل فإنهم داخلون في قوله:-

(إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ)يستبدلون(بِعَهْدِ اللَّهِ)بما عاهدهم الله عليه من الصدق و الوفاء و الأمانة و غير ذلك

(وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا) عرضا حقيرا من أعراض الدنى

*الصحيح المسند من أسباب النزول:البخارى2356 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:

«مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ(على متعلق يمين و هو المحلوف عليه)يَقْتَطِعُ بِهَا(يأخذ قطعة بسبب يمينه)مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ عَلَيْهَا فَاجِرٌ (كاذب في الإقدام عليه)لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:-{إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا} [آل عمران: 77] الآيَةَ

فَجَاءَ الأَشْعَثُ فَقَالَ: مَا حَدَّثَكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِيَّ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ كَانَتْ لِي بِئْرٌ فِي أَرْضِ ابْنِ عَمٍّ لِي فَقَالَ لِي:-«شُهُودَكَ» قُلْتُ:-مَا لِي شُهُودٌ قَالَ:-

«فَيَمِينُهُ»قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذًا يَحْلِفَ فَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺهَذَا الحَدِيثَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ تَصْدِيقًا لَهُ

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ)

و يدخل فى ذلك كل من أخذ شيئا من الدنيا فى مقابلة ما تركه من حق الله أو حق عباده

(وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا)و كذلك من حلف على يمين يقتطع بها مال معصوم فهو داخل فى هذه الآية

فـــــ(أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ)نصيب(لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ)من الخير

(وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ)يوم القيامة غضبا عليهم و سخطا لتقديمهم هوى أنفسهم على رضا ربهم
لَا يُكَلِّمُهُمْ كَلَامَ لُطْفٍ بِهِمْ

(وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ)بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ(يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ)

(وَلَا يُزَكِّيهِمۡ)يطهرهم من ذنوبهم و لا يزيل عيوبهم

(وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ)موجع للقلوب و الأبدان و هو عذاب:-

1- السخط

2-و الحجاب

3-و عذاب جهنم نسأل الله العافية.

*البخارى 4549 -عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ:- قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ:-
«مَنْ حَلَفَ يَمِينَ صَبْرٍ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ وَ هُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ:
(إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَ)إِلَى آخِرِ الآيَةِ
قَالَ: فَدَخَلَ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَ قَالَ: مَا يُحَدِّثُكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟
قُلْنَا: كَذَا وَ كَذَا قَالَ: فِيَّ أُنْزِلَتْ كَانَتْ لِي بِئْرٌ فِي أَرْضِ ابْنِ عَمٍّ لِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-«بَيِّنَتُكَ أَوْ يَمِينُهُ»
فَقُلْتُ: إِذًا يَحْلِفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-
«مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ(يمينا ألزم بها و حبس بسببها)يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ
وَ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللَّهَ وَ هُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»77

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

(وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ)يميلون و يحرفون(أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ)عن المقصود به

و هذا يشمل اللي و التحريف لألفاظه و معانيه

و ذلك أن المقصود من الكتاب حفظ ألفاظه و عدم تغييرها و فهم المراد منها و إفهامه

و هؤلاء عكسوا القضية و أفهموا غير المراد من الكتاب إما تعريضا و إما تصريحا

فالتعريض في قوله (لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ)

يلوون ألسنتهم و يوهمونكم أنه هو المراد من كتاب الله و ليس هو المراد

و التصريح فى (وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ)و هذا أعظم جرما ممن يقول على الله بلا علم

(وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ)فيجمعون بين:-

1-نفى المعنى الحق

2-و إثبات المعنى الباطل

3-و تنزيل اللفظ الدال على الحق على المعنى الفاسد (وَهُمْ يَعْلَمُونَ)بذلك 78

*و هذه الآية نزلت ردا لمن قال من أهل الكتاب للنبى ﷺلما أمرهم بالإيمان به و دعاهم إلى طاعته:-

أتريد يا محمد أن نعبدك مع الله فقوله(مَا كَانَ)يمتنع و يستحيل(لِبَشَرٍ)على بشر

(أَن يُؤْتِيَهُ)آتاهُ (ٱللَّهُ)و مَّن عليه بإنزال(ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ)و تعليمه ما لم يكن يعلم وإرساله للخلق

(ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ)

فهذا من أمحل المحال صدوره من أحد من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة و السلام لأن هذا أقبح الأوامر على الإطلاق و الأنبياء أكمل الخلق على الإطلاق فأوامرهم تكون مناسبة لأحوالهم فلا يأمرون إلا بمعالى الأمور و هم أعظم الناس نهيا عن الأمور القبيحة

فَإِذَا كَانَ هَذَا لَا يَصْلُحُ لِنَبِيٍّ وَ لَا لِمُرْسَلٍ فَلَأَنْ لَا يَصْلُحَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرَهُمْ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَ الْأَحْرَى وَ لِهَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ:-لَا يَنْبَغِي هَذَا لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ بِعِبَادَتِهِ.

قَالَ:وَ ذَلِكَ أَنَّ الْقَوْمَ كَانَ يَعْبُدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا -يَعْنِي أَهْلَ الْكِتَابِ-كَانُوا يَتعبَّدون لِأَحْبَارِهِمْ وَ رُهْبَانِهِمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:-

(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)التوبة: ٣١

*الترمذى 3095 -عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺقَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺوَ فِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ:- «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ»وَ سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ:

{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ} [التوبة: 31]

قَالَ:أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَ لَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ وَ إِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ

*فَالْجَهَلَةُ مِنَ الْأَحْبَارِ وَ الرُّهْبَانِ وَ مَشَايِخِ الضَّلَالِ يَدْخُلُونَ فِي هَذَا الذَّمِّ وَ التَّوْبِيخِ بِخِلَافِ الرُّسُلِ وَ أَتْبَاعِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ فَإِنَّمَا يَأْمُرُونَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَبَلَّغَتْهُمْ إِيَّاهُ رُسُلُهُ الْكِرَامُ.

*إِنَّمَا يَنْهَوْنهم عَمَّا نَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْهُ وَبَلَّغَتْهُمْ إِيَّاهُ رُسُلُهُ الْكِرَامُ.

فَالرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أجمعينَ هُمُ السُّفَرَاءُ بَيْنَ اللَّهِ وَ بَيْنَ خَلْقِهِ فِي أَدَاءِ مَا حَمَلُوهُ مِنَ الرِّسَالَةِ وَ إِبْلَاغِ الْأَمَانَةِ فَقَامُوا بِذَلِكَ أَتَمَّ قِيَامٍ وَنَصَحُوا الْخَلْقَ وَ بَلَّغُوهُمُ الْحَقَّ

فلهذا قال(وَلَٰكِن)يأمرهم بأن يـــ(كُونُوا رَبَّانِيِّينَ)علماء حكماء حلماء معلمين للناس و مربيهم بصغار العلم قبل كباره عاملين بذلك

*فهم يأمرون بالعلم و العمل و التعليم التى هى مدار السعادة و بفوات شىء منها يحصل النقص و الخلل

و الباء فى قوله(بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ)باء السببية أى:بسبب تعليمكم لغيركم المتضمن لعلمكم و درسكم لكتاب الله و سنة نبيه التى بدرسها يرسخ العلم و يبقى تكونون ربانيين(وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ)تحفظون ألفاظه79

*تعميم ثم تخصيص فقال(وَلَا يَأْمُرَكُمْ)بعبادة نفسه

(أَن تَتَّخِذُوا)و لا بعبادة أحد من الخلق من(الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ)و غيرهم(أَرْبَابًا)

(أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ)هذا ما لا يكون و لا يتصور أن يصدر من أحد مَنَّ الله عليه بالنبوة فمن قدح فى أحد منهم بشىء من ذلك فقد ارتكب إثما عظيما و كفرا وخيما80

(وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ)و عهدهم المؤكد (لَمَآ)بسبب (ءَاتَيْتُكُم)ما أعطاهم(مِّن):-

1-(كِتَٰبٍ)الله المنزل

2-و (وَحِكْمَةٍ)فصل بين الحق و الباطل و الهدى و الضلال

(ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ)وَ هُوَ مُحَمَّد ﷺ (مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ)مِنْ الْكِتَاب وَ الْحِكْمَة

(لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ)جَوَاب الْقَسَم إنْ أَدْرَكْتُمُوهُ وَ أُمَمهمْ تَبَع لَهُمْ فِي ذَلِكَ

(قَالَ)الله(ءَأَقْرَرْتُمْ)بِذَلِكَ(وَأَخَذْتُمْ)قبلتم(عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى)عهدى أى ميثاقى الشديد

(قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا)قبلنا ما أمرتنا به على الرأس والعين

(قَالَ)الله لهم:-(فَٱشْهَدُواْ)على أنفسكم و على أممكم و أتباعكم بذلك

إنه إن بعث الله رسولا مصدقا لما معهم أن يؤمنوا به و يصدقوه و يأخذوا ذلك على أممهم

*فالأنبياء عليهم الصلاة و السلام قد أوجب الله عليهم أن يؤمن بعضهم ببعض و يصدق بعضهم بعضا

لأن جميع ما عندهم هو من عند الله و كل ما من عند الله يجب التصديق به و الإيمان فهم كالشيء الواحد

فعلى هذا قد علم أن محمدا ﷺهو خاتمهم

*فكل الأنبياء عليهم الصلاة و السلام لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به و اتباعه و نصرته و كان هو إمامهم و مقدمهم و متبوعهم

*فهذه الآية من أعظم الدلائل على علو مرتبته و جلالة قدره و أنه أفضل الأنبياء و سيدهمﷺلما قررهم تعالى

قال(وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ)العهد و الميثاق المؤكد بالشهادة من الله و من رسله

(فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ)82

*فعلى هذا كل من ادعى أنه من أتباع الأنبياء كاليهود والنصارى و من تبعهم فقد تولوا عن هذا الميثاق الغليظ

و استحقوا الفسق الموجب للخلود فى النار إن لم يؤمنوا بمحمدﷺ

*قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب وَ ابْنُ عَمِّهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا:-

مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا أُخِذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقُ لئن بَعَث محمدًا وَهُوَ حَيّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ وأمَرَه أَنْ يَأْخُذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أُمَّتِه:-لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺوَ هُمْ أَحْيَاءٌ ليؤمِنُنَّ به ولينصرُنَّه.

*و قال طاووس:-أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ أَنْ يَصْدُق بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وَ هَذَا لَا يُضَادُّ مَا قَالَهُ عَلِيٌّ وَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ لَا يَنْفِيهِ بَلْ يَسْتَلْزِمُهُ وَ يَقْتَضِيه.

(أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ)

أيطلب الطالبون و يرغب الراغبون فى غير دين الله؟لا يحسن هذا و لا يليق لأنه لا أحسن دينا من دين الله

(وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ)انقاد(مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)الخلق كلهم بتسخيره مستسلمون له :-

1-(طَوۡعٗا)و اختيارا و هم المؤمنون المسلمون المنقادون لعبادة ربهم

2-(وَكَرۡهٗا)هم سائر الخلق حتى الكافرون مستسلمون لقضائه و قدره لا خروج لهم عنه و لا امتناع لهم منه

*كقوله(وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ)الرعد: ١٥.

*فَالْمُؤْمِنُ مُسْتَسْلِمٌ بِقَلْبِهِ وَ قَالَبِهِ لِلَّهِ وَ الْكَافِرُ مُسْتَسْلِمٌ لِلَّهِ كَرْهًا فَإِنَّهُ تَحْتَ التَّسْخِيرِ وَ الْقَهْرِ وَ السُّلْطَانِ الْعَظِيمِ الَّذِى لَا يُخَالِفُ وَ لَا يُمَانِعُ.

(وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ)و إليه مرجع الخلائق كلها فيحكم بينهم و يجازيهم بحكمه الدائر بين:-الفضل و العدل83

قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

تقدم نظير هذه الآية في سورة البقرة(قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا)يَعْنِى:الْقُرْآنَ

(وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ)مِنَ الصُّحُفِ وَ الْوَحْيِ:-

(وَٱلۡأَسۡبَاطِ)وَ هُمْ بُطُونُ بَنِى إِسْرَائِيلَ الْمُتَشَعِّبَةُ مِنْ أَوْلَادِ إِسْرَائِيلَ -هُوَ يَعْقُوبَ-الِاثْنَى عَشَرَ.

(وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ)يَعْنِى: بِذَلِكَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ

(وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ)وَ هَذَا يَعُم جميعَ الْأَنْبِيَاءِ جُمْلَةً

(لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ)يَعْنِى: بَلْ نُؤْمِنُ بِجَمِيعِهِمْ

(وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ)فَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُؤْمِنُونَ بِكُلِّ نَبِيٍّ أُرْسِلَ وَ بِكُلِّ كِتَابٍ أُنْزِلَ لَا يَكْفُرُونَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ بَلْ هُمْ مُصَدِّقون بِمَا أُنْزِلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ بِكُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ84

*ثم قال تعالى(وَمَن يَبۡتَغِ)يدين لله(غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا)الذى ارتضاه الله لعباده فعمله مردود غير مقبول ﷺ
لأن دين الإسلام هو:-المتضمن للاستسلام لله إخلاصا و انقيادا لرسله

(فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ)
*البخارى2697 -عَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:-
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»

*فما لم يأت به العبد لم يأت بسبب النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه و كل دين سواه فباطل85

(كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ)

*هذا من باب الاستبعاد أى: من الأمر البعيد أن يهدى الله قوما اختاروا الكفر و الضلال بعدما:-

1- آمنـــــــوا

اليأس من هداية الضالين و أنواع الكفار و عاقبتهم 86-91

2-و شهدوا أن الرسول حق بما جاءهم به من الآيات البينات و البراهين القاطعات

*الصحيح المسند من أسباب النزول قال الإمام أبو جعفر بن جرير عن ابن عباس قال:-

كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد و لحق بالشرك ثم ندم فأرسل إلى قومه:-

أرسلوا إلى رسول الله هل من توبة قال:-"فنزلت"(كَيْفَ يَهْدِى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ) إلى قوله -

(وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ...(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وأصلحوا فإن الله غفور رحيم)

(وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ)

*فهؤلاء ظلموا و تركوا الحق بعدما عرفوه واتبعوا الباطل مع علمهم ببطلانه ظلما و بغيا و اتباعا لأهوائهم

فهؤلاء لا يُوَفقون للهداية

*لأن الذى يُرجى أن يهتدى هو الذى:-

1-لم يعـــــــرف الحق

2-و هو حريص على التماسه فهذا بالحرى أن ييسر الله له أسباب الهداية و يصونه من أسباب الغواية86

*ثم أخبر عن عقوبة هؤلاء المعاندين الظالمين الدنيوية و الأخروية فقال:-

(أُوْلَـٰٓئِكَ)الظالمون(جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ)فهم مطرودون من رحمة الله87

(خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ)يفتر(عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ)ساعة و لا لحظة لا بإزالته أو إزالة بعض شدته

(وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ)يمهلون لأن زمن الإمهال قد مضو قد أعذر الله منهم و عمرهم ما يتذكر فيه من تذكر كقوله

(وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ) فاطر: ٣٧ يتعظ فيه من اتعظ

فلو كان فيهم خير لوجد و لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه88

(إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

*وَ هَذَا مِنْ لُطْفِهِ وَ بِرِّهِ و رَأْفَتِهِ وَ رَحْمَتِهِ وَ عَائِدَتِهِ عَلَى خَلْقِهِ:- أَنَّهُ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ تَابَ عَلَيْهِ89

(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ)يخبر تعالى أن من كفر بعد إيمانه

(ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا) كـــــــفره:-

1-بتماديه فى الغى و الضلال 2-و استمراره على ترك الرشد و الهدى

(لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ)لا يوفقون لتوبة تقبل بل يمدهم الله في طغيانهم يعمهون قال تعالى:-

(وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ)الأنعام: ١١٠

*فالسيئات ينتج بعضها بعضا و خصـــــــوصا لمن:-

1- أقــــــدم على الكفر العظيم 2-و تــــــرك الصراط المستقيم

*و قــــــــد:-

1-قـــــامت عليه الحجة 2-و وضــــــــح الله له الآيات و البراهين

*فهذا هو الذى سعى فى قطع أسباب رحمة ربه عنه و هو الذى سد على نفسه باب التوبة و لهذا حصر الضلال في هذا الصنف

*الصحيح المسند من أسباب النزول قال الحافظ ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس:أن قوما أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺفنزلت هذه الآية (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ

(وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ)و أى ضلال أعظم من ضلال من ترك الطريق عن بصيرة 90

(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ)إذا استمروا على كفرهم إلى الممات تعين هلاكهم و شقاؤهم الأبدى

و لم ينفعهم شيء(فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ)من عذاب الله ما نفعه ذلك

(أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)بل لا يزالون في العذاب الأليم

(وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ)لا شافع لهم و لا ناصر و لا مغيث و لا مجير ينقذهم من عذاب الله فأيسوا من كل خير و جزموا على الخلود الدائم فى العقاب و السخط فعياذا بالله من حالهم.

*مسلم 214 عَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها قُلْتُ:-يَا رَسُولَ اللهِ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَ يُطْعِمُ الْمِسْكِينَ فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟قَالَ:-"لَا يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا:-(رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ)

كقوله(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)المائدة٣٦

*مسلم 2805 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:-

"يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا:-لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَ مَا فِيهَا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ:-نَعَمْ فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَ أَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ:-أَنْ لَا تُشْرِكَ أَحْسِبُهُ قَالَ:- وَ لَا أُدْخِلَكَ النَّارَ فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ "91